كل مايطمح له المرء في هذا العصر يتحقق عن طريق السلام

# عصر السلام

## السلام هو الثقافه والخيار الوحيد للإنسان والكون

مولانا وحيد الدين خان

من منشورات جمعية الرسالة

كل مايطمح له المرء في هذا العصر يتحقق عن طريق السلام

# عصر السلام

السلام هو الثقافه والخيار الوحيد للإنسان والكون

كل مايطمح له المرء في هذا العصر يتحقق عن طريق السلام

# عصر السلام

## السلام هو الثقافه والخيار الوحيد للإنسان والكون

مولانا وحيد الدين خان

هذه النسخة ترجمة لكتاب عصر السلام

# (The Age Of Peace)

الصادر عن

**Goodword Books، Hyderabad**
**Tel**. +91 4023514757
**Mob**. +91 7032641415، +91 9448651644
**Email**: hyd.goodword@gmail.com

**Goodword Books، Chennai**
**Tel**. +91 4443524599
**Mob**. +91 9790853944، +91 9600105558
**Email**: chennaigoodword@gmail.com

**Islamic Vision Ltd.**
434 Coventry Road، Small Heath
Birmingham B10 0UG، U.K.
**Tel**. 121 - 773 - 0137، Fax: 121 - 766 - 8577
**e - mail**: info@ipci - iv.co.uk،
www.**islamicvision**.co.uk

**IB Publisher Inc.**
81 Bloomingdale Rd، Hicksville
NY 11801، USA
**Tel.** 516 - 933 - 1000
**Fax:** 516 - 933 - 1200
**Toll Free**: 1 - 888 - 560 - 3222
**email**: info@ibpublisher.com
www.ibpublisher.com

# محتويات الكتاب

صفحة

## الباب الثالث:

## مناهج عدم المواجهة من اجل إحلال السلام



## الباب الرابع:

## شهادة التاريخ

صفحة

الباب الخامس:

**الحاجة إلى مكافحة الأيديولوجية**



الباب السادس:

**السلام في العالم الإسلامي**

## الباب السابع

## الإسلام والسلام

# تَقْديم

في الثاني عشر من يناير سنة 2015م، كنت طريح الفراش في مستشفى ماكس بنيودلهي، أعاني من آلام حادة بعد إجراء عملية جراحية. حينها دخل الطبيب إلى غرفتي وقال: "لا تقلق، إنها مجرد فترة مؤقتة، وقريباً سيصبح كل شيء عادياً".

لم أنم طيلة تلك الليلة، وظلت كلمات الطبيب حاضرة تجول في خاطري وتفكيري. وبدأت أمعن النظر والتفكير في أولئك الذين انخرطوا في أيامنا هذه - في حرب مقدسة منفردة ذاتية (من جانب واحد).

أولئك الذين يقترفون أعمال عنف تستهدف أناسا آخرين في كل مكان، كأماكن العبادة أو الأسواق أو الفنادق أو الأماكن العامة، وحتى المقابر. إن العنف الذي قام أولئك بإطلاقه أدّى إلى قتل وحشي لعدد كبير من الناس الأبرياء. وعندها تذكرت آية من القرآن الكريم تخبرنا بأن قتل نفس بشرية واحدة مساو لقتل البشر جميعاً، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً..﴾، (المائدة :32)،

ويوجد اليوم أكثر من سبعة مليار نسمة حول العالم، وذلك يعني أن أولئك الذين يقتلون ولو نفسا واحدة يستحقون عقوبة قتل سبعة مليارات نفس بشرية، وعندما خطر ذلك في ذهني كنت في غاية الكرب والحزن، وسألت نفسي كيف لأولئك الذين يقتلون الآخرين تحمل مثل ذلك العذاب القاسي الأليم.

ما هو السبب وراء خطورة قتل النفس البشرية؟ إنه بسبب أن هذا الأمر أي (قتل الأنفس) هو شأن ينسب في الظاهر للكائن البشري (الإنسان)، ولكن في الحقيقة هو شأن خاص يعزى مباشرة للّه تعالى. وذلك يعني أن قتل النفس البشرية معادل للإعتراض على تدبير اللّه وسنته في الخلق. فهذا القتل للنفس البشرية معناه حرمان الشخص من فرصة عيش حياته إلى منتهاها، والقيام بأداء دوره المقرر له من قبل خالقه. وعندما يقضي الشخص عمره كاملاً كما منحه له الخالق، يكون قادرا على القيام بالدور المنوط به في هذا العالم.

في الواقع، إن منح الحياة أوسلبها يعزى مباشرة للّه تعالى، وبمجرد أن يعي المرء خطورة ذلك الأمر، فلن يجرؤ مطلقا على الإقدام على قتل أي شخص.

وعندما فكرت في تلك المسائل، فكرت مليا في قضية أولئك الذين يقترفون التفجيرات الانتحارية، إنّ الأعمال الانتحارية غير مشروعة في كافة الأديان النظم القانونية في العالم، وفقاً

لحديث نبي الإسلام ﷺ إنّ من يقدم على الإنتحار فمصيره الخلود في النار، توقفت عند ذلك التفكير، وبدأت دموعي تنهمر من عيني وقلت في نفسي كيف لأولئك الذين يقترفون الإنتحار تحمل آلام أبدية في عالم الآخرة، بينما أنا لم أكن قادراً على تحمل ألم مؤقت أقل شدة وربما أقل ألماً؟

وقد روى أحد اصحاب الرسول ﷺ الحديث التالي:

« كنا برفقة النبي ﷺ في غزوة، وكان معنا شخص يدعى قزمان بن الحارث، الذي كان قد اعتنق الاسلام، وأثناء المعركة عانى من جروح كثيرة، وبدأ الناس يمدحونه أمام رسول الله ﷺ على الشجاعة التي أظهرها في الحرب، ولكن النبي ﷺ قال: «إنه من أهل النار»، (البخاري - كتاب المغازي)، أي أنه أحد أهل النار بالتأكيد، فكاد بعض الناس يرتابون، فذهبوا ليتحققوا، فعرفوا أن الرجل وجد ألام الجراح ولم يتحملها، فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه، (حال قزمان هي حالة انتحار)، وعندما أخبر النبي ﷺ به قال : «الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله ». [1]

تلك كانت ليلة مروعة بالنسبة لي، فقررت في تلك الليلة وبعد تماثلي للشفاء، سيكون أول عمل أقوم به هو تأليف كتاب عن السلام، فكان هذا الكتاب نتيجة لذلك القرار الذي اتخذته وأنا طريح الفراش بالمشفى.

وإن الغرض من هذا الكتاب هو إعادة بناء الوعي، أوإعادة تشكيل تلك العقول التي تفكر بمصطلحات العنف، إن هدف الكتاب أن يعي مثل أولئك الأفراد أنه بإمكانهم النجاح بشكل كامل بطرق ووسائل سلمية لتحقيق ما لم يكونوا قادرين على تحقيقه بوسائل العنف.

أتقدم بالشكر والعرفان الخاص للسيدتين اللتين ساعدتاني بشكل كبير في إعداد هذا الكتاب، الدكتورة فريدة خان، الأستاذة بالجامعة الإسلامية الملية نيودلهي، ومارية خان المتحصلة على البكالوريس في الفيزياء، والتي تتابع دراسة الدكتوراه في الدراسات الاسلامية بجامعة هامدارد - نيودلهي. كما أتقدم بالشكر إلى عزيز أحمد الذي قرأ مخطوط الكتاب وعلق عليه، بارك اللّه فيهم أجمعين وجزاهم اللّه خيراً.

**وحيد الدين خان**

نيودلهي 26 يونيو 2015.

# البَابُ الأوَّل

# السلام من أجل السلام

# السلام من اجل السلام

■ في السلمية:

السلمية مبدأ تبناه كل أولئك الذين وجدوا في الحرب وكل مظاهرها شرورا مقيتة، كالعنف والدمار وفقدان الأرواح على وجه الخصوص وإعدام الوجود الانساني وقد عد السلام عبر العصور والأزمنة القديمة موضوع مصلحة قهرية مفروضة، ودرس باهتمام من قبل كل المفكرين، أبتداءً من أرسطو إلى توماس الأكويني، ومن برتراند رسل إلى المهاتما غاندي. لقد انشغلت العقول العظيمة بمسألة السلام وناصرت ما يوافق سبل السلام. ومع أن العام 1937م شهد صدور موسوعة السلام، لكن الوصول إلى صيغة عامة تحظى بالقبول وتؤسس للسلام، لم يتم بعد.

إن السؤال الأساسي: لماذا تحقيق السلام وما هو معيار السلام؟ دعاة السلام في العموم يتمسكون بأن السلام يتضمن العدالة الاجتماعية، أو أن السلام يتحقق فقط بإحلال العدالة بين الجميع، فدستور منظمة العمل الدولية التابعة للأمم المتحدة في التعامل مع قضايا العمال قد أكد على أن:

"السلام الشامل والدائم يمكن تأسيسه فقط على العدالة الاجتماعية" [1]... ولقد ظفر ذلك المفهوم للسلام بقبول عام بين العلماء والمثقفين.

إنّ السؤال الجوهري الذي يطرح ههنا، كيف أن السلام بهذا المعنى لم يتحقق أبداً على مر التاريخ البشري؟ أي أن إحلال السلام مشروط بالعدالة الاجتماعية. التاريخ نفسه يقدم دليلاً تجريبياً على حقيقة ذلك التعريف للسلام لأنه لا يتفق مع السنن الكونية. والحقيقة أنه في هذا العالم، لا يستطيع المرء تحقيق أي شيء حين التخلي عن الالتزام بالسنن الكونية.

إن السبب في الفشل لإحلال السلام هو أن معظم العلماء ربطوا إحلال السلام بتوفر عوامل محددة ليست ذات علاقة بمفهومهم للسلام الحقيقي وهو أنه لا ظلم ولا انتهاك لحقوق الانسان وعدم مساواة ولا عنف بأي شكل من الأشكال.

دعنا نأخذ التناظر الوظيفي للتربة فهي تعطينا الغذاء الذي من دونه لا نستطيع الاستمرار في الوجود، طبقاً للسنن الكونية، إذ يجب علينا أولاً الحصول على أراضي خصبة، ثم نعدها لزراعة المحاصيل. والأمر مشابه لحقيقة السلام، فالسلام مثل التربة الاجتماعية، إذ من خلال الزراعة يمكن الحصول على ثمار العدالة الاجتماعية، كما أنه لا يمكن جلب الغذاء مباشرة من التربة، فإنه بالمثل لا يمكننا تحصيل العدالة الاجتماعية مباشرة من إحلال السلام.

وبحسب السنن الكونية، فإنّ السلام لا يمكن تحقيقه إلا على أساس أحادي، أي من جانب واحد، وليس على أساس ثنائي أي من كل الأطراف، ذلك يعني أنه يتوجب علينا أولاً وقبل كل شيء التخلي عن كل أشكال وأساليب المواجهة، مثل النشاطات السياسية،

والنشاطات القائمة على الاحتجاج والمعارضة والمطالبة الحقوقية. إن المسلك الأحادي الجانب سوف يؤسس وضعاً مستقراً، والاستقرار سيقود إلى إحلال السلام، والسلام سيفتح الباب لكل أنواع الفرص، عندها من خلال التخطيط الحكيم سنتمكن من تحقيق كل المكاسب التي نرغب في الحصول عليها من منظور العدالة الاجتماعية وحقوق الانسان.

وذلك ما يمكن أن نطلق عليه إستراتيجية السلام، ولنأخذ واحد من الأمثلة التاريخية لذلك، وهو معاهدة «صلح الحديبية» التي انضم إليها نبي الإسلام ﷺ سنة 628هـجرية، والتي اقتضت بموافقة النبي ﷺ على جميع شروط خصومه. إن مثل تلك التنازلات قد بدت بلا معنى لأصحابه في حينها، ولكن الملمح الأساسي للاتفاقية كان ضمان فترة زمنية ممتدة تضع الحرب فيها أوزراها من حيث المبدأ، وأن مدى معاهدة الصلح واللا حرب يبلغ عشر سنوات، مما يمنح النبي ﷺ وأصحابه رضوان اللّه عليهم، فرصا كثيرة لنشر الإسلام في كل الأنحاء.

إن صلح الحديبية كان قصة نجاح كبيرة (الفتح المبين)، وبدراسة مضامينه ومعانيه، يمكننا رسم صورة متكاملة عن الموضوع وتطوير منهج ناجح لتحقيق الهدف المرغوب فيه.

السلام يتحقق فقط على أساس أحادي، أي من جانب واحد دون مواجهة الآخرين، ولكن عندما نرغب في إقامة العدالة الاجتماعية وحقوق الانسان، تصبح المسألة ثنائية متعلقة بكلا الطرفين، لأنه

يتوجب علينا حينها مصارعة المجموعات الأخرى التي نعتقد بأنها مسؤولة عن الظلم وانتهاك حقوق الانسان. وإذا شرعنا في طريقنا لبلوغ هذا الهدف، فإن ذلك يفضي بنا إلى المواجهة مع الجماعات الموجودة، وبدلاً من بلوغ الهدف المرغوب فيه، فإن الأشخاص موضع الاهتمام سينخرطون في العنف. لذلك يتوجب علينا استنباط المنهج القابل للتطبيق دون التورط في المواجهة مع الجماعات الأخرى القائمة. في الواقع، إن تحقيق دعوات العدالة الاجتماعية وحقوق الانسان، من خلال تخطيط في منتهى الحكمة، ليست تلك برحلة على طريق ممهدة فسيحة، بل إنها رحلة وعرة عبر آجام وأدغال شائكة.

ولهذا، فإن إحلال السلام من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ليس بالصيغة العملية (القابلة للتطبيق)، إذ يوجد صيغة واحدة فقط قابلة للتطبيق وهي إحلال السلام من أجل الإستقرار، وهذا الإستقرار فقط هو الذي يمنحنا الفرصة للقيام بتخطيط حكيم لازم لتحقيق هدفنا.

فالتخطيط الحكيم غير خلافي ولا جدلي في الطبيعة، إنه الشيء الذي يمكن القيام به، دون الدخول في مواجهة مع الآخرين، بغض النظر عن أي شريحة من المجتمع التي ينتمون إليها. والصيغة في هذا الاعتبار هي تأسيس لمناخ سلمي مهما كان الثمن، وذلك سيفتح كل أبواب الفرص وعند ذلك، وبالاستفادة من تلك الفرص ومن خلال التخطيط الحكيم (حسن التدبير)، يمكننا تحقيق النجاح المنشود.

■ **السلام هو الخير الأسمى:**

الخير الأسمى لغةً يعني الخير الأعظم، فهو منتهى الغايات في حد ذاته. وفي الوقت نفسه يحمل في طياته كل الخيرات، فماهو الخير الأسمى عملياً؟ الناس لديهم آراء مختلفة حول هذا الأمر، فمعظم الناس يتمسكون بأن الحرية هي الخير الأعظم، ولكن الحرية لا يمكن وصفها بذلك، إن الخير الأسمى هو منفعة قصوى خالية من الآثارالجانبية السلبية، غير أن المنفعة المرجوة من وراء السعي لنيل الحرية غير المدروس والمخطط له، يمكن أن ينجم عنها الفوضى. والفوضى تخلق مشاكل يتعذر حلها، وتصاحبها عراقيل تمنع وتصد كل أنواع النجاح نحو التطوروالرقي المادي والروحي.

والحقيقة هي أن الخير الأسمى الحقيقي هو السلام، وهو خير في جميع الظروف والأحوال. أيا كان الأسلوب الذي نستخدمه من أجل إحلال السلام، فلن يكون له على الاطلاق نتائج سلبية، فالسلام يجلب الاستقرار ويعود بالأمور إلى طبيعتها (حالة الطبيعة)، وهذا أفضل مايجلبه إحلال السلام، لأن كل أنواع التطور والتقدم تجد لها موطئا ومكانا في أوضاع الاستقرار العادية.

هناك نوعان من السلام: السلام الفردي على المستوى الشخصي، والسلام الجماعي (المجتمعي)، والاسم الآخر للسلام الفردي هو سلام العقل، وسلام العقل هو الأكثر أهمية لجميع الافراد. والمقصود به حسن التدبير الفردي، أي أن يحظى الفرد بالسلام العقلي عندما يكون الفرد قادراً على حسن إدارة نفسه فقط. ومن جهة ثانية فإن جلب السلام للمجتمع هو مسألة تتطلب اتخاذ اجراءات أو تدابير جماعية.

عند التأمل عبر التاريخ، تجد أن حسن التدبير والإدارة للمجتمع

في معناه النموذجي القيمي هدف مرواغ ومضلل. فأولئك المصلحون الذين عملوا من أجل تحقيق مجتمع السلام المثالي النموذجي تبين لهم أن مساعيهم تؤدي إلى العنف بدلاً من السلام الاجتماعي.

فماهو السبب وراء تلك النتائج السلبية؟ السبب أن أولئك النشطاء الاجتماعيين ربطوا بين مفهوم السلام الاجتماعي والعدالة الاجتماعية. فطوروا نظرية مفادها أنه لا يمكن تحقيق السلام الاجتماعي إلا من خلال تحقيق العدالة الاجتماعية. أولاً وقبل كل شيء، إنهم شعروا أنه يتوجب عليهم إقامة العدالة الاجتماعية، وحينها كنتيجة لذلك سينشأ السلام الاجتماعي.

غير أن هذه النظرية ليست قائمة على أسس فطرية على الإطلاق، وبناءً على ذلك فهي نظرية غير قابلة للتطبيق. طبقاً للسنن الكونية فإن دور السلام هو تهيئة أرضية مناسبة لكل الأنشطة المختلفة، وبالإستفادة من تلك الأرضية نستطيع تحقيق هدف العدالة .إن الدور الأساسي للسلام هو تحقيق الحياة الطبيعية المستقرة، التي تكون مطلبا أساسيا لكل أنواع النجاح. لذلك يتوجب علينا في البدء إقامة السلام مهما كان الثمن.

المشكلة تكمن في أن السلام الاجتماعي مسألة أحادية الجانب، ويوجد دائماً العديد من الجماعات التي تشكل المجتمع، وعليها أن تقبل خطة سلام، وعندها يمكن بالفعل إحلال السلام.

إذاً ماهو الوضع المشترك المقبول لكل أجزاء المجتمع، الصيغة الأفضل للسلام هي القبول والعمل في ظل الوضعية القائمة، أي أن أفضل صيغة للسلام هي قبول الوضع القائم، وذلك أنه إذا ما حاول شخص إحداث تغيير في الوضع القائم، فذلك يمكن أن يقود

أو يفضي إلى العنف، وإذا قبل المرء بالوضع القائم، سيحل عند ذلك السلام.

- إن الصيغة القابلة للتطبيق في هذا الوضع يمكن التعبير عنها على النحو التالي: -

عند الرغبة في إقامة السلام الفردي تؤخذ المثالية بعين الاعتبار، بينما تراعي الواقعية عند الرغبة في إقامة السلام الاجتماعي.

لا توجد صيغة أخرى فاعلة في التدبير والتخطيط لتحقيق الأهداف وبلوغها. ولنأخذ مثالا على ذلك يوضح هذا المعنى:

بعد الحرب العالمية الثانية حاولت كل من ألمانيا واليابان إعادة التطوير والنهوض ببلديهما التي دمرتهما الحرب. ولتحقيق هذا الغرض كانت البيئة السلمية ضرورة لكلا الدولتين. ولكن كانت هناك بعض المشاكل، على سبيل المثال، فقد فقدت ألمانيا الجزء الشرقي من أراضيها، ونفس الأمر حصل لليابان أيضاً، التي خسرت جزيرتها الإستراتيجية (أوكيناوا)، لقد اختار كلا البلدين صيغة قبول الوضع القائم دون العمل على تغيير الوضع الراهن، وشرعوا في تنفيذ مخططاتهم أي في إعادة بناء بلدانهم، باستخدام المصادر التي مازالت تحت تصرفهم وسيطرتهم. وكلاهما برهن على كونه ناجحا وحقق مستويات عالية من التطور في فترة زمنية قصيرة - قياسية.

- إن السبيل الوحيد لإقامة السلام في المجتمع، إذا أردنا تحقيق أي أهداف مادية أو روحية اتباع هذه الصيغة:

**(اقبل الوضع القائم واعمل على إنجاز عملك بالتدابير السلمية، بهذا الأسلوب ستحقق بالتأكيد كل النجاح.)**

إنها لحقيقة أن السلام هو الخير الأسمى، ولكن إذا رغبت في

تحقيق السلام يتوجب عليك اتباع السنن الكونية. وذلك يعني أن السلام يمهد الأرضية لممارسة كل النشاطات، وليس نتيجة لتلك النشاطات. الطريق السليم هو أنه في البدء يجب تهيئة أرضية صحيحة وعندها تحقق أهدافك من خلال التخطيط الحكيم.

إن السلام بمثابة التربة، وبدون التربة لا وجود للأشجار، وبالمثل فإنه بدون سلام لا تكون هناك تنمية وتقدم أو رقي اجتماعي.

■ **السلام والعدالة**

في العصر الحديث انخرطت العديد من الجماعات في أعمال العنف، وإذا توجهت إليهم بالسؤال: لماذا تقومون بأعمال ينجم عنها سفك الدماء؟ سوف يجيبون: «لأننا ضحايا الظلم، امنحونا العدالة ونحن نعطيكم السلام، بالمقابل».

إنّ الشرط الثاني لتحقيق السلام تحقيق العدالة، وهو أمر مستحيل، فمن خلال النضال والكفاح من أجل العدالة يتحقق السلام، إن هذا الشرط بمثابة وضع العربة أمام الحصان، إن كل الأشياء في هذا العالم، تخضع وتعمل وفقا للسنن الكونية، ومطلب تحقيق العدالة ليس استثناء.

وطبقاً للقوانين الكونية، فالعدالة لا تمنح لشخص ما بمثابة الهبة أوالهدية، والسبيل الصحيح لبلوغها، إنه وقبل كل شيء، يجب العمل من أجل إقامة السلام من جانب أحادي، والسلام بدوره سيفتح الأبواب لكل الفرص. عند ذلك تستغل الفرص عبر التخطيط الحكيم للمساعدة في تحقيق العدالة. ولا يوجد في التاريخ أي شخص أحرز العدالة بواسطة القتال.

السلام ليس مقصوداً مباشرة من أجل تحقيق العدالة، فالسلام

ضروري من أجل إرساء الحياة الطبيعية (الاستقرار)، وعندما تسود الحياة الطبيعية أوالاستقرار، تصبح كل الفرص متاحة وممكنة، وأنه من خلال الإستفادة من مثل تلك الفرص فإنه يمكن للمرء تحقيق العدالة.

ولا يمكن تحقيق العدالة لمجرد كونها حقا: و بالأحرى إن المرء يحظى بالعدالة عندما يثبت أنه جدير بها، إذا تذمرت ضد الظلم الاجتماعي، وألقيت اللوم على الآخرين فذلك ليس مسلكا صحيحا نحو تحقيق السلام، إنه يتوجب عليك عوضاً عن ذلك العمل معرفة جوانب القصور والخلل لديك، ولأنه طبقاً للسنن الالهية إن ما تطلق عليه الظلم الاجتماعي هو نتاج نقصك لاستحقاق العدالة، لهذا السبب فإن تحقيق العدالة يتوجب عليك إعداد نفسك طبقاً لذلك، والظلم يمكن القضاء عليه من خلال التعليم والعمل الشاق، وليس عن طريق المطالبة والاحتجاج، إن استراتيجية التذمر والاحتجاج لن تهبك العدالة أبدا.

إن عالمنا هو عالم قائم على المنافسة. في هذا العالم يمكن للمرء تحقيق أي شيء فقط على قاعدة الاستحقاق، وليس من خلال الشكوى أوالمطالبة.

لقد ظهر عدد كبير من المصلحين الذين كان هدفهم تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال المطالب، ولكنهم فشلوا. والسبب وراء ذلك الفشل كان في أن انطلاقهم لم يكن من الواقع.

هناك نقطة انطلاق واحدة فقط، وتلك النقطة هي: تعليم الناس وجعلهم مؤهلين ومستحقين ليحظوا بالعدالة، العدالة لمن هم أكفاء جديرين بالتقدير، إنها لا تتحقق بصورة آلية. فإذا كنت تستحق

العدالة، فإنك بالتأكيد ستنالها. غير أنه إذا كان ينقصك الإستحقاق اللازم، فإنك بالتأكيد ستحرم منها.

كباقي الأمور الأخرى، تحقيق العدالة قائم على القاعدة المشهورة (أعط وخذ) ... إذا دفعت الثمن اللازم فسوف تنال العدالة، والعكس صحيح.

**«السلام ليس مطلوبا من أجل العدالة، السلام مطلوب من أجل إقامة الإستقرار والحياة الطبيعية»** [1]

العقبة الأخرى لتحقيق العدالة أن الناس مهووسون بمبدأ العدالة المثالية والمطلقة، لأن العدالة المطلقة غير قابلة للتحقيق، فما يتحصل عليه الناس طبقاً لتصورهم هو أقل من مطالبهم. لهذا وحتى بعد أن يظفر الفرد بالعدالة، سيعتقد من ظفر بالعدالة بأنه لم يتم له ذلك بالقدر الكافي، لأن الحقيقة، أنه في هذا العالم، أن الشخص يمكنه بلوغ العدالة القابلة للتطبيق أوالتحقيق، وليس العدالة المطلقة (النموذجية)، ولهذا السبب أنه حتى عندما يرتقي الناس على سلم الإنجازات، يعتقدون بأنهم في درجة المعوزين (المحرومين)، وهكذا فإن حل المشكلة هو تخفيف شعور الناس من الاضطراب والاهتياج الناجم بالأحرى عن شعورهم بالظلم.

يوجد سجل تاريخي لاندلاع أعمال العنف نتيجة ما فعله الشعور بالضيم لدى الناس، والواقع أنهم اعتقدوا أن كل ما تحصلوا عليه هو أقل مما طالبوا به. لذلك استمروا في الشعور بالظلم. على الرغم من أنهم قد تحصلوا عبر العدالة على ما يمكن ان يتحصلوا عليه من خلالها.

إن السبيل لوضع نهاية للعنف، هو تحول الناس عن الشعور

بالظلم، وعوضاً عن ذلك لابد من حثهم على الانخراط لتحقيق العدالة. فتحقيق العدالة متيسر في جميع الأوضاع، بينما العدالة المطلقة مستحيلة.

ويؤكد ميثاق أو دستور (قانون)، منظمة العمل الدولية، على «السلام العالمي الشامل يمكن أن يؤسس فقط على العدالة الاجتماعية». [1]

ولكن هذه الفرضية ليست واقعية، الحقيقة أن السلام يمكن أن يؤسس فقط على قبول الوضع القائم، والدين يوزاي قبول الوضع القائم بالقناعة، وهي الرضا. من خلال السلام ستفتح أبواب الفرص، ومن خلال انتهاز تلك الفرص يمكن تحقيق العدالة.

■ **قوة السلام**

غالباً ما يعرّف العلماء السلام بأنه غياب الحرب، وهذا تعريف سلبي، والتعريف الإيجابي يجب أن يكون أن السلام هو الحالة التي تظهر فيها الفرص الذهبية الكثيرة، إن الدور الأكثر أهمية للسلام هو فتح أبواب الفرص، ومنح كل فرد الفرصة لاستغلال تلك الفرص من أجل بلوغ هدف أو أهداف ما.

الفرص هي الأكثر أهمية في الحياة، فالنجاح يتحقق عندما يتعرف المرء على الفرص ويستغلها بالتخطيط الحكيم، لذلك من الأهمية البالغة إقامة السلام في العالم مهما كان الثمن. فالسلام سيفتح الفرص، وباستغلال تلك الفرص يمكن للمرء تحقيق كل ما يرغب في تحقيقه. وأولئك الذين ينخرطون في العنف يبرهنون على عدم وعيهم بسنن الطبيعة (الكون).

على سبيل المثال، إذا سئل أولئك الأشخاص المنخرطون في أعمال العنف، ما السبب وراء أفعالهم وعدم اهتمامهم بإحلال السلام؟

فالإجابة المتوقعة من هؤلاء ستكون أنهم على دراية بأن السلام أمر جيد وطيب، ولكنهم قد حرموا من العدالة.

إن تلك الإجابة مثل وضع الحصان أمام العربة، الواقع أنه ما من أحد سيقدم لك العدالة كهبة، فالعدالة نتاج لجهود الشخص بنفسه. أولاً وقبل كل شيء، يجب عليك إحلال السلام بأي ثمن. بعد ذلك، يتوجب عليك بدء مسيرتك تجاه تحقيق العدالة من خلال التخطيط والتدبير الحكيم. هذا هو الطريق الوحيد نحو إحلال العدالة، ولا يوجد طريق آخر لبلوغ هذا الهدف.

بعيد الحرب العالمية الثانية قسم الحلفاء ألمانيا بصرامة إلي جزئين: ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية، هذه الاستراتيجية هدفت إلى إضعاف ألمانيا على أساس دائم، وتلك كانت مسألة جلية للظلم. لكن القادة الألمان لم يقوموا برد فعل، ما حدث أنه تم إعطاء فرصة للسنن الكونية لأداء عملها. اتباع العملية السلمية والسنن الكونية الخفية أدت دورها في صمت لتأسيس الاستقرار والحياة الطبيعية. وفي آخر الأمر سقط سور برلين، وبعد خمسة وأربعين سنة، أصبحت المانيا دولة موحدة سنة 1990م. واليوم كلا القسمين من ألمانيا يشكلان دولة واحدة، بالضبط كما كانتا قبيل عشية الحرب العالمية الثانية. إن ألمانيا الغربية لم تخض الحروب من أجل الإمتداد نحو ألمانيا الشرقية، وكل ما قام به الألمان هوتعبيد الطريق نحو السلام.

إن القوة الكبرى للسلام تكمن في فسحه مجال العمل للسنن الكونية لتأدية دورها. فإذا رغبت في أداء دورك من خلال شن الحرب، فإنه يتوجب عليك خوض الحرب بنفسك، والسلام من جهة أخرى سيعمل لصالحه، إذا أوقفت الحرب فسوف يسود السلام. وفي هذه

الحالة، ما نحتاج إليه هو منح السنن الكونية الفرصة. وفي مثل هذه الوضع، السنن الكونية ستؤدي إلى آثار عاجلة. والشرط الوحيد هو أنه عندما تبدأ السنن الكونية بالعمل، يجب على المرء ألا يتدخل. إذ أن السلام يتماشى ويعمل فقط في بيئة عدم التدخل، وعندما يكون هناك تدخل ستتوقف العملية الفطرية. وبالمثل عندما يتم بذر البذور تبدأ الشجرة في النمو تلقائياً، وتلك أيضاً القدرة الكبرى للسلام. وهكذا فالذين يدركون القوة الكامنة للسلام لن يواجهوا أبدا الفشل.

باستخدام العنف يمكنك اقتلاع شجرة، ولكن استخدام العنف لن يمكنك من زراعة شجرة، وذلك في الواقع شبيه بالحياة الانسانية. وفي الحياة البشرية الحرب لا تقود إلا للدمار، بينما السلام يحمل هدفاً إيجابياً. ولا يمكن القيام بأي عمل بناء إذا كان هناك عنف، في حين أن السلام يمهد للأعمال البناءة. فالسلام يمهد الطريق لبناء الأمة عبر السبل الصحيحة والسليمة (الصحية).

الحرب تبدأ بالغضب وتنتهي بالغضب، وهي لا تحمل أي ملمح بناء أو مظهر صحي لا في مطلعها ولا عند انطفائها. أما السلام فهو حالة صحية في كل الأحوال وفي كل المجالات يقود إلى النتائج الإيجابية، تماشيا وانسجاما مع السنن الكونية. ولهذا السبب، عندما يختار المرء الأسلوب السلمي، فإن العالم كله بأرضه وسمائه يدعمه ويكون في صفه. وأما إذا اختار المرء أسلوب العنف فإن الكون بأرضه وسمائه سيقف في وجهه

# الباب الثاني

# بزوغ عصر السلام

# بزوغ عصر السلام

## ■ عصر انتهاء الاحتكارية

خلق اللّه تعالى الإنسان وأسكنه كوكب الأرض، ومنحه كامل الحرية لاستخدامها بإنضباط وبمحض إرادته، ولكن الإنسان فشل في تحقيق ذلك. إن الجشع للسلطة السياسية وتحقيق المصالح الشخصية والاقتصادية وعدم التسامح الديني ظل النظام السائد للحياة، واستمر هذا الوضع لآلاف السنين، وهذا كان السبب الأساسي لسيطرة ثقافة الحرب خلال العقود السابقة.

تلك الظروف والأحوال تعارضت مع سنة اللّه في الخلق، فطبقاً لحكمة اللّه من وراء الخلق، يتوجب بالضرورة حصول كل رجل أو أمراة على بيئة حرة لتطوير أوالإرتقاء بشخصيتهما. ولكن بمرور الزمن أصبح هذا التدبير معطلاً... ولكن إرادة اللّه صححت مسار التاريخ بينما حفظت للإنسان كامل الحرية.

تطلب الأمر تدبيرا إلهيا في غاية الدقة والتعقيد عبر عصور طويلة ليبلغ مداه ويحقق أهدافه ويشكل الزمن الحاضر أوج ذلك التدبير الالهي ومنتهاه.

إن الخيارات المحددة المتاحة في الأزمنة الأولى، أفضت إلى غلبة الاحتكارات المطلقة على كافة الميادين: كالسلطة السياسية والفرص

الاقتصادية والمجال الديني، كل الأمور تم احتكارها من قبل جماعة أو أخرى، وفي مثل هذا الوضع أراد الخالق تعالى كسر الاحتكار عن كل مصادر الحياة، حتى يتعين حصول كل رجل وأمراة على الحرية في الاختيار. لذلك الغرض بدأ الله تعالى في عملية تدبير كامل للتاريخ، وهكذا يمكن أن نقر أن الحضارة المعاصرة هي تتويج للتدبير الإلهي وهي عملية زمنية طويلة من التدبير الإلهي.

إن عصر الديمقراطية – اليوم - رسخ انعدام الاحتكارية للقوة السياسية والتصنيع الحديث. وكان نتاج عدم الاحتكارية وفق مصطلحات الفرص الاقتصادية والحرية الفكرية للعصر الحديث، جعلت من الممكن إنهاء احتكار وجهة النظر الدينية، كما أن العلم الحديث قاد إلى إنهاء احتكارية نظم العقائد القاسية.

تلك الظاهرة التي أطلق عليها الكاتب الانجليزي جي. اف. ويست، بحق "الثورة الفكرية العظيمة" [1]، إن إنهاء احتكارية كل أنواع الاحتكار المطلق استوجبت ترسيخ ثقافة السلام. بعد إنهاء الاحتكارية صارت كل الأشياء في متناول الجميع، ولهذا لم يعد الانغماس في العنف ليحقق المرء غاياته مثيرا للاهتمام.

إن الحضارة الحديثة أنهت فعلياً الاحتكار المطلق لكل فرص الحياة، فأصبح من الممكن لكل شخص أن يكون حراً للقيام بما يرغب في تحقيقه في أي حقل يختاره أو تختاره، غير أنه بالرغم من تطور الحضارة الحديثة، فإننا نرى أن ثقافة العنف مازالت ماثلة في بعض المواطن؟ والسبب هوانعدام الوعي بهذا التحول التاريخي.

وعلى سبيل المثال، إذا أراد شخص ما الحصول على السلطة السياسية فلن يكون له من حاجة لشن حرب. وفي الزمن القديم تغيير الحكومات لم يكن ممكنا إلا عن طريق القتال وإزالة الحاكم عن عرشه، لكن في ظل الديمقراطية صار من الممكن اعتلاء منصب الحزب الحاكم من خلال الانتقال السلمي عبر إجراء انتخابات، إن تلك التطورات جعلت العصر الحديث عصراً للسلام، ولكن للاستفادة من تلك الفرص العصرية فإن الأمر يحتاج للتعليم، لذلك السبب ترى أن المجتمعات المتعلمة، يتم فيها التغيير بشكل سلس وعبر عملية سلمية من خلال إجراء الانتخابات، بينما في المجتمعات الأقل تعليماً مازال الناس في قبضة عقلية متخلفة عن العصر، ومازالوا يتقاتلون من أجل الإستيلاء على السلطة.

والأمر يصدق بالمثل فيما يتعلق بالفرص الاقتصادية، فاقتصادنا القديم كان قائما بالأساس على الزراعة، عن طريق السيطرة واغتصاب أراضي الغير ليتمكن المرء من زيادة إنتاجه، أما اليوم فإن المجال الواسع للصناعة فتح على مصراعيه، ويمكن للمرء تحقيق النجاح باستغلال الفرص الهائلة المتاحة في هذا الميدان.

إن إنهاء الاحتكارية للموراد في العصر الحديث هو نعمة وبركة عظيمة، ذلك أنها جعلت أسلوب أومنهج العنف غير ذي نفع وجدوى. الآن عبر الوسائل السلمية كل شخص صار قادراً على تحقيق النجاح على درجة عالية. إن إنهاء عصر الاحتكارية وقدوم عصر نهاية الاحتكارية، بتعبير آخر، هو إنهاء لعصر العنف وحلول عصر السلام.

إن عصر الاحكتارية قد أزال عملياً خيار الحرب، وهكذا فإن خيار الحرب الآن لن يظهر تحت أي نوع من الضرورة، بل إن خيار

الحرب هو فقط نتيجة سوء الاستخدام الجاهل للحرية.

■ **الحضارة الغربية**

هناك عدة آيات في القرآن الكريم التي تتضمن تنبؤات عن أحداث مستقبلية. على سبيل المثال، التنبؤ بانتصار الروم على الغساسنة الفرس، ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾، (سورة الروم)، الذي تحقق في بضع سنين كما ذكر في القرآن، ولكن التنبؤ الأكثر دلالة ووضوحا والذي تحقق بوضوح هو ظهور الحضارة الغربية، تلك الحضارة المؤيدة أو المناصرة للقيم الإنسانية في فترة متأخرة من التاريخ البشري، قال تعالى: -

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)﴾ (سورة فصلت).

هذه الآية تتنبأ بوضوح عن التطورات التي حدثت في الأمم الغربية بعد ألف سنة من نزول الوحي القرآني، إن الحضارة الغربية في الواقع أسست على العلم، ويوجد ملمحان رئيسيان لذلك، ملمح نظري وآخر عملي أو تطبيقي.

الملمح التطبيقي للحضارة الغربية كما يطلق عليه في العادة الملمح التكنولوجي، هو الملمح المذكور في الحديث النبوي التالي: **"إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر."** متفق عليه.[1] والفاجر هنا يعني الشخص اللاديني (غير المتدين)، هذا القول النبوي في الواقع نبوءة لظهور الحضارة الغربية، التي كانت في جوهرها مناصرة للقيم الإنسانية، أي أنها ستكون مفيدة للبشرية والدين الإلهي كذلك.

إن الحضارة الغربية ليست ملكية قاصرة على جنس أو مجتمع

معين. بل إنها تدين بالكامل لاكتشاف قوانين الطبيعة المستترة، والتقدم التكنولوجي الذي استفاد ويستفيد منه البشر جميعا دون استثناء. وعلى سبيل المثال، إن اكتشاف قوانين الطبيعة أنتج عصرا جديدا للاتصالات، ومن خلاله يمكن أن ينتفع به كل شخص، بما في ذلك المناصرين والمؤيدين لدين الإسلام.

إن تطور الحضارة الغربية له جانبان رئيسيان، أحدهما متصل بالثورة الفكرية التي ظهرت في عالم السياسة والاجتماع. على سبيل المثال أحد أهم الخطى في هذا الاتجاه كانت استبدال النظام الموناركي (الملكية المطلقة) بالنظام الديمقراطي، والجانب الثاني يختص بالفوائد التي تولدت عن تطور وسائل الاتصال الحديثة. وذلك الأمر أعطى الناس معرفة متعمقة وكاملة بالجغرافيا، وسهل عليهم السفر والتنقل من مكان لآخر. كما أن آلة الطباعة أيضاً سهلت انتقال وشيوع الأفكار حول العالم. فالتقنية الالكترونية حولت بحق العالم إلى قرية كونية. والآن أصبح من الممكن الكلام من أي جزء من العالم لتسمع وتشاهد ما يدور في مكان آخر بعيد كل البعد.

الفائدة الكبرى من تلك التطورات الحديثة هو أنه لأول مرة على مر التاريخ البشري يتم إطلاق أو إعلان عصر السلام. أما في العصور المبكرة لهذا التاريخ، فيتم خوض معارك دموية من أجل تحقيق أية غاية، فكل الأمور كانت تقرر في أرض المعركة، ونظراً لذلك فإن أناساً كثيرين من بني البشر غادروا هذا العالم دون القيام بالدور المنوط بهم.

في أعقاب التطورات الحديثة، ولأول مرة في التاريخ البشري، صار

من الممكن تحقيق أي هدف مهما كان صغيراً أو عظيماً من خلال الوسائل السلمية.

إن تدبير الخالق جل وعلا، البعيد والطويل المدى، قاد إلى إحداث ثورة في التاريخ البشري، ليضع نهاية لزمن الحرب. وفي هذا السبيل، صار من الممكن اليوم عن طريق استخدام الوسائل السلمية بلوغ كل الغايات بطريقة هي أفضل من استخدام الشدة والعنف والتي لا تحقق أي شيء ذا قيمة.

إنها أكبر إنجازات العصر الحديث، لكن أولئك الذين اختاروا أسلوب الحرب والعنف في عالم اليوم، فإنهم يثبتون فقط أنهم غير مدركين وواعين بالكلية بالتحولات التاريخية الحديثة، وهذا الجهل التام ينعكس في استخدامهم المتهور للسلاح عن طريق انحيازهم أوميلهم للعنف، فاقترفوا أبشع جريمة في تاريخ البشرية.

إن أولئك الذين أهملوا وتخلوا عن المنهج السلمي في القرن الواحد والعشرين، واختاروا الانحياز لاستراتيجية البنادق والقنابل، يبرهنون فقط على أن كل ما يستطيعون أن يكتسبوه وينالوه لأنفسهم وللآخرين هو تاريخ من الموت والدمار، ستنطبق عليهم في الحياة الآخرة الآية القرآنية الكريمة: -

﴿.. فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)..﴾ (سورة البقرة).

■ **عصر البدائل**

في الأزمنة القديمة، كان أمام الناس الطامحين ميدان وحيد يمكنهم من خلاله تحقيق طموحاتهم، ولكن العصر الحديث شهد تحولا هائلا في هذا السياق، نحن الآن نعيش عصر البدائل وهناك العديد من الخيارات عوضاً عن الانخراط في المعارك.

للشخص الطموح هناك عددا من البدائل السلمية المتاحة، وإن تلك المكاسب أو الثمرات التي يتوقع الناس الحصول عليها فقط من خلال الحرب هي الآن من الممكن بلوغها وبدرجة أكبر عن طريق استخدام الوسائل السلمية، ومن أجل إيضاح تلك النقاط، أرغب في استحضار مثالين متماثلين:

كان الحكم المغولي في الهند حكم السلالات الحاكمة، وكان أوررنغزيب (1618 - 1707) الحاكم السادس لتلك السلالة الحاكمة، وكان هو وأخوه دار شاكون (1615 - 1659)، يحملان برامج وأهدافا مختلفة.. في ذلك الزمان كان هناك سبيل وطريق وحيد متاح لحل الخلافات ألا وهو القتال، بناءً على ذلك نشب القتال ولقي (دار شاكون) ومناصروه الهزيمة وقتلوا .

في الوقت الحاضر هناك حزبان رئيسيان في الهند ذاتها، هما حزب المؤتمر وحزب بي جي بي. وكلا الحزبين يمتلك رؤية وبرامج مختلفة، ولما كانت الهند اليوم دولة ديمقراطية، فإن كلا الحزبين يتنافس ويتبارى في الانتخابات لتقرير مصيرهم. وهذا المبدأ يؤدي فعله، وفي مايو 2014م، صبيحة الانتخابات العامة تغيرت القيادة السياسية للهند بصورة سلمية.

هذا البديل متاح لكل البلدان، حتى في تلك الدول التي تنخرط فيها بعض الجماعات في مستنقع العنف. حيث ترد إلى أسماعنا أخبار عن دماء تسفك. هذا الوضع ناجم عن عدم إدراك قياداتها للتغيير الحاصل في هذا الزمان، أولئك القادة المنشغلون بأعمال العنف في تلك البلاد يعملون تحت تأثير عقلية قديمة. وطبقاً لتلك العقلية والمزاج، فإنهم يعرفون فقط نموذج الملكية القديم، وليس لهم علم بالنموذج الديمقراطي المعاصر.

على الرغم من النتيجة المروعة لهذا النوع من النضال العنيف، فإن طريقة تفكير أولئك القادة رسخت بشكل جذري هذا العنف، فصاروا غير قادرين على إعادة التفكير في استراتيجيتهم. في الوقت الحاضر وقع عدة قادة ضحايا للعنف مثل صدام حسين المتوفى في عام 2006م، وأبوبكر البغدادي المتوفى في 2014/ (دون تأكيد)، أبو آلا العفري المتوفى 2015م.

إن حلول عصر البدائل المتعددة شكل علامة إيجابية جداً، إنه يعني تحول التاريخ من الحرب إلى السلام، في القرن الحادي والعشرين وصل هذا العصر إلى منتهاه، والآن لم يعد هناك حاجة لتبني ثقافة البندقية والقنبلة، وكل شخص يرغب في بلوغ طموحاته يجب عليه إدراك روح العصر. وقبل القيام بأي عمل يتوجب عليه التفكر مليا في الأوضاع بصورة شاملة كاملة، وسوف ينتهي بالتأكيد إلى فهم حقيقة الخيار الأفضل ألا وهو الوسائل السلمية.

أحد الأمثلة المشابهة نجده في تركيا المعاصرة، مع نهاية القرن التاسع عشر، كانت تركيا جزءً من الامبراطورية العثمانية، والتي

ضمت ما يقارب الثلاثين دولة من الدول المعاصرة، ولكن خلال الحرب العالمية الأولى، تفككت الامبراطورية العثمانية وانتهى التوسع السياسي التركي.

وهكذا، فإن قادة تركيا المعاصرة صبيحة تفكك امبراطوريتهم اتخذوا بعض الإجراءات الصارمة، وبحثوا عن بديل لخيار التوسع السياسي، وذلك كان تطوير العلوم والتكنولوجيا في بلادهم، وكنتيجة لذلك وخلال فترة وجيزة، ظهرت تركيا من أكثر الدول تقدماً في العالم الاسلامي.

في الوقت الحاضر يعيش المسلمون الانقسام السياسي والذي يتمثل في وضعية أو سياسة الحاكم والمحكوم. وجد المسلمون أنفسهم في مرتبة أدنى وهي مرتبة المحكومين والتي لم يتقبلوها، لذلك فهم يعملون من أجل تغيير الوضع القائم واستعادة مرتبة الحاكم.

هذا التفكير الثنائي غير واقعي بالمرة، فهم غير مدركين لوجود خيار ثالث متاح أمامهم عليهم استغلاله والإستفادة منه. هذا الخيار بالغ الأهمية لدرجة أنه بتطبيقه والعمل في ظله سيكون بوسعهم إقامة امبراطورية غير سياسية.

المشكلة الحقيقة أن المسلمين اليوم يجهلون حقيقة أن العصر الحاضر هو عصر الديمقراطية، وفي هذا العصر تقلصت الحكومة لمجرد القيام بدور الإدارة، ولكن بعيداً عن الدور التنظيمي الإداري، توجد مجالات أكبر وأكثر أهمية مفتوحة أمام المسلمين، على سبيل المثال، التعليم، والصحافة، ووسائل الاتصال، و مجالات الاقتصاد

والاستثمار، وكذلك عمل الدعوة وتبليغ رسالة الله للناس. سوف يحسن المسلمون صنعاً لو تخلوا عن مجال النشاط السياسي وكرسوا أنفسهم للمجالات غير السياسية المذكورة آنفاً، عند ذلك يمكنهم بناء امبرطوريات عالمية مستقلة، أكبر من امبراطوريتهم السياسية السابقة.

والحق إن العصر الحاضر شهد انفجارا في البدائل في كافة المجالات، والآن لا حاجة للتشاؤم أو الانشغال بالاحتجاج والعنف والقتال. لكن كل شخص يمكنه ببساطة التوصل لمعرفة أن هناك بديلا له، وأنه عن طريق استغلاله يمكنه تحقيق النجاح في أي مسلك من مسالك الحياة.

في الوقت الحاضر، إن عبارة مثل "النضال أو الكفاح المسلح"، ربما ما زالت تظهر في القاموس، ولكن لم يعد لها معنى حقيقي ثانية، مثل الكلمات القديمة البالية، فكلمة النضال المسلح صارت أيضاً كلمة قديمة. لقد أصبح الخطاب بمصطلحات الحرب والعنف ضرباً من الفوضوية.

إن "القتال" في العالم المعاصر مفهوم قديم عفا عليه الزمان. إذا أصبح المقاتلون والمليشيات واعون بهذه الحقيقة، فإنهم من المؤكد سيلقون بأسلحتهم بعيداً، ولن تجد أسلحتهم مكانا لها إلا في المتاحف.

## ■ عصر الحضارة

إنّ استخدام العنف من بقايا ثقافة المجتمع البدائي، إذ لم يعرف الناس إلا سبيلاً وحيداً لتسوية أمورهم، وذلك باللجوء للعنف.

يحكى أنه في العصر الحجري تشاجر شخصان وتراشق ابالحجارة والغضب يعلوهما، وعند تصادم حجرين ببعضهما البعض نجمت

عن ذلك شرارة نارية، راقب الشخصان الشرر الناجم عن التصادم، وتناسا الشخصان الخصومة والشجار، وشرعا في التفكير ملياً في ظاهرة الشرر. ومن تلك التجربة اكتشفا أن هناك شيء ما مستتر وخفي في الصخور، ومنفصلا عنها، ذلك أن الصخور لا ضوء لها، ولكن ما نجم عن تصادمهما كان ضوء، فالصخور صلبة، بينما الضوء "ناعم"... لقد قيل إن مثل تلك الحوادث كانت وراء سلسلة متواصلة من الدراسة لقوانين الطبيعة.

لقد تطلب الأمر من الإنسان آلاف السنين لاكتشاف ما يوجد من قوانين مستترة في الطبيعة، ومن خلال فهمها تمكنا من تسخير إمكانات الطبيعة من أجل مصالحنا. إن اكتشاف القوة البخارية مثال لإمكانات الطبيعة المخفية وغير المحدودة، وبالمثل فإن السيارة والطائرة تم اكتشافهما باستخدام مصادر طبيعية.

بهذا الأسلوب أو الطريقة، وبعد فترة زمنية طويلة صار من الممكن تحويل المادة إلى تكنولوجيا، تلك العملية استمرت دون انقطاع مع انشغال قسم كبير من البشرية فيها، ولقد انقضى وقت طويل ما بين اختراع العجلة وتطوير وسائل الاتصال الحديثة. إن نتائج الكثير من الاكتشافات والاختراعات خلال تلك الفترة، ساهمت بصورة كبيرة في ظهور الحضارة المعاصرة والتي غيرت بالكامل نمط وأسلوب الحياة الانسانية.

إن الميزة الأبرز للعالم المتحضر هي أنها مكنت الانسان من الخروج من عصر القساوة والشقاء، وقادته إلى حياة مريحة. إن

المدن الحديثة تقدم المتعة، وتجعل ذلك النوع من الحياة متاحا .

إن الحضارة الغربية منحت — من جميع جوانبها - حياة مريحة للناس، السفر والتنقل المريح والاتصالات الملائمة ومؤسسات حسنة التجهيز، وباختصار، إن كل انشطة الحياة صارت مريحة ممتعة.

إن عصر الحضارة الحديثة أنهى فعلياً وبجدارةعصر الحرب إلى النهاية. حالتا الحرب والعنف في هذا الزمان صارتا من الأمور التي لاعلاقة لها بالزمن المعاصر، إنها كمحاولة إضرام النار في المطبخ باستخدام صخرتين بدلامن استخدام عود الثقاب أو ولاعة.

في أيامنا هذه، لا أحد يوقد ناراً في المطبخ بتلك الطريقة البالية، ولكننا نشاهد حتى اليوم، نزوع البعض إلى خيار الحرب والعنف على الرغم من كونه خيارا غير حضاري ولا صلة له إلا بالعصور البدائية.

■ **رحلة الحضارة:**

يندلع العنف عندما تخرج مشاعر الغضب عن السيطرة. في الحياة يواجه الناس تجارب غير مرغوب فيها في معظم الوقائع اليومية: وهذا جزء لا يتجزأ من حياة الانسان، الأمر الذي يولد نوعاً من الغضب العاصف لدى معظم البشر، وعندما تظهر بعض الأعمال الاستفزازية تشتعل مشاعر الغضب الدفينة وتؤدي لأعمال العنف، وفي بعض الأوقات للحرب. والحل الدائم لهذا البلاء الكارثي يكون عن طريق إيجاد أسلوب فاعل في كبح وقف ثورة الغضب.

الأسلوب الأفضل يكون بتذكر المآثر التاريخية للبشرية عموماً، وذلك الإدراك سيعمل كمتحكم داخلي وصمام الأمان للعنف.

في الوقت الحاضر، نحن نعيش في عالم متحضر، ونتمتع فيه بأنواع هائلة من الخدمات وسبل الراحة. ولكن تلك الخدمات لم تكن متاحة أو ممكنة في العصر المبكر للحضارة الانسانية، فكيف ظهرت إلى الوجود؟ إنها النتيجة الحتمية لمسيرة تطور طويلة.

عاش الانسان البدائي حياة قاسية، تاريخياً تسمى تلك المرحلة بالعصر الحجري، في تلك الحقبة من الزمن كان كل شيء في شكل صورته الاولية، ثم بدأ الانسان رحلته الطويلة نحو الحضارة، امتطى رظهور الخيل بداية، ثم اخترع العجلة، وفي نهاية المطاف — بواسطة جهد بحث علمي طويل - طور الانسان التقنية تدريجياً فاخترع السيارة والطائرة بديلا للسفر. البشرية بهذا المعنى انتقلت من الوسائل البدائية لتحقق الرفاهية بواسطة التكنولوجيا الحديثة. لقد كانت رحلة طويلة — رحلة الحضارة، والتي شملت كل البشرية بصورة مباشرة أو غير مباشرة،

قدم الناس تضحيات جمة جيلا تلو الآخر، لقد أنفقوا أعمارهم وطاقاتهم لتطوير أشياء سيستخدمها الجميع. بهذه الطريقة الناس زرعوا حديقة الحضارة، ونحن نجني اليوم ثمارها، ولهذا نحن ندين للبشرية جمعاء.

إن صيغة "أحبوا جيرانكم" صيغة جيدة. وهي الأساس الحقيقي للأخوة البشرية العالمية. ولكن لابد أن تقوم هذه الصيغة على أساس عقلي، على ضوئه يقتدي ويتبع هذا المبدأ في الحياة الواقعية أو الفعلية.

إن الانسان كائن ينشد التبرير، فهو يطلب عقلنة كل افعاله، بما

في ذلك أفعال الحب والشفقة على الآخرين. إن المفهوم المذكور آنفاً "التطور الحضاري" هو الذي يمنح أساسا قويا لمثل ذلك النوع من التفكير.

المرء يتجنب على الدوام شن الخصومة تجاه والديه، لأنه يعلم بالمنة والفضل والمساعدة التي قدماها له، وإن الناس على دراية بهذا الفضل والمنة التي يقدمها الوالدان، ولكنهم لا يدركون منة أوفضل البشرية الأعظم.

إذا أدركوا فضل أو منة الإنسانية، فإنهم سيحبون الإنسانية أكثر من حبهم لآبائهم وأمهاتهم، ولن يجعلوا من البشرية خصما أو عدوا لهم. إن الإحساس بالخصومة تجاه الغير هو ما يقود إلى العنف، وإنه إذا تم إنهاء العدواة والخصومة، فإنه لن يتم اللجوء أبداً للعنف.

ولما كان الانسان مخلوقا باحثا عن التبرير، فإنه بدون التبرير لا يمكنه القيام بأي شيء، إذا أدرك الناس الفضائل والمنن للبشرية على حياتهم عبر التاريخ، فذلك يعد بمثابة تبرير ولن ينخرطوا في العدواة أبداً مع الآخرين. وعوضاً عن ذلك سيتبعون المبدأ القائل "أحبوا الجميع"، الأمر الذي يقدم الأساس العقلي الحقيقي من أجل السلام الاجتماعي.

كل تلك السلع الاستهلاكية التي نتحصل عليها من مراكز التسويق، وكل تلك التسهيلات التي تجعل حياتنا مريحة في البيت وخارجه لم تنجز بأيدي المستهلكين الحاضرين. لقد طورتها البشرية عبر فترة زمنية طويلة، ونحن نستخدمها دون أدنى تفكير في مصادرها، وإذا اعتبرنا تلك الأشياء منة وهبة من البشرية، فسوف نعتبر الآخرين

محسنين بدلا من اتخادهم أعداءا وخصوما، عندها ستختفي وتزول كل الأفكار السلبية تجاه الآخرين، وسنحيا بروح عامرة بالشفقة على الآخرين، إن التفكير بهذه الطريقة سيقتلع السلبية التي تعزز وتنمي مفهوم "نحن والآخرون، والذي يؤدي أحياناً إلى العنف.

إن الشخص الذي ينظر للأمور من هذا المنظور، سوف يدرك أن أفراد البشرية لديهم دور منوط بهم في بقائه ووجوده.

حتى الآن مازال المرء يعمل تحت تأثير وهم بأنه في حياته الدنيا لا فضل عليه إلا من عائلته، ولكن الآن سيفهم أن البشرية لعبت دوراً أكبر في حياته، وسوف يقدم على التفكير بأنه لولا فضل الإنسانيةعليه فإنه ليس له أية قيمة.

كل إنسان لديه مشاعر وعواطف قوية لكل فرد من أفراد عائلته، ولكن إذا نما عنده ذلك التفكير الكوني فسوف يشعر بعاطفة قوية لكل البشرية، وسوف يكتشف قول المسيح عليه السلام: "أحبو أعداءكم" بمعنى: أحبوا الجميع، لأن الجميع هم من المحسنين، وأنه لا يوجد أعداء".

■ **اجعل من عدوك صديقا**

خلال زيارتي للولايات المتحدة في شهر يونيو 2011م، كنت قد دعيت لكنيسة أمريكية في فيلادلفيا لإلقاء محاضرة عن أهمية السلام. عندما انتهيت من إلقاء المحاضرة سألني عالم مسيحي:» إن هناك تعليم مشهور في الكتاب المقدس: « أحبوا أعداءكم» 1، هل يمكن أن تشير لأية آية تحمل ذات المعني في القرآن؟، قلت: «نعم،

يمكنك قراءة الآية رقم 34 من سورة فصلت .

«لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم»

إن هذه الآية تقوم على القانون الفطري الطبيعي. طبقاً للقانون الطبيعي لا يوجد لا صداقة دائمة ولا عدواة دائمة، والناس يصنفون في إحدى المقامين: بعضهم هم أصدقاء فعليين، والبعض الآخر أصدقاء محتملين، وعلى المرء أن يكتشف هذه الحقيقة وإنه عبر التخطيط السليم يجب عليه محاولة تحويل هذه الاحتمالية إلى واقع.

إن أولئك الذين يقومون بأعمال العنف باسم الجهاد يميلون إلى أخذ الأمور من قيمتها أومدولالها الظاهري، وذلك يعني أنه إن ظهر شخص ما في ثوب العدواة، فهم يعلنونه فوراعدواً، ويبدأون حرباً دامية ضده، وهذا مثال على فشلهم في النفاذ إلى بواطن الأمور، ولو أنهم نظروا إلى الأمور بعمق وتروي، لأدركوا أن من نظروا إليهم كأعداء لهم، فإنهم في حقيقة الأمر، من الممكن والمحتمل أن يصبحوا أصدقاء مقربين.

ولهذا عوضاً عن شن الحرب ضدهم، فإنه كان يتوجب عليهم جعلهم أصدقاء من خلال العمل الدعوي السلمي، وذلك عن طريق تبليغ رسالة الله لهم.

طبقاً للقانون الفطري، فإن كل رجل وأمراة هما من ذرية آدم وحواء، وهذا يعني أن كل الجنس البشري يشترك في جد أعلى واحد،

وهذا يعني أن البشرية هي عائلة كونية (عالمية). كل الرجال والنساء هم إخوة أو أخوات برابطة الدم.

في الوقت الحاضر، هذه الظاهرة البيولوجية صارت حقيقة علمية ثابتة، والآن لم تعد قصة آدم وحواء عليهما السلام قصة أسطورية غامضة، وإنما حقيقة واقعية أكدتها البحوث الانثروبولوجية.[2]

إن قبول تلك الحقيقة البيولوجية، – على الأقل من الناحية النظرية – جعلت من الممكن أن يعيش الرجال والنساء كعائلة عالمية، بدلاً من العيش كجماعات متصارعة. لا يوجد الآن تبرير حقيقي لأي نوع من الحروب القبلية أو القومية أو غيرها بين أفراد المجتمع الانساني.

نحن قلما نسمع باندلاع حرب بين أبناء العائلة الواحدة، نظرياً ذلك ما يجب أن يكون حقيقة وواقعاً بين البشرية جمعاء، لأنه — طبقاً للبحث العلمي – كل البشرية عائلة واحدة، ولذلك يجب أن تتوقف وتنتهي كل أنواع العداوات القديمة، لقد حان الوقت لتعيش البشرية على الأرض في تناغم كعائلة واحدة، إن العيش في تناغم لم يعد مجرد مبدأ اخلاقي، فضلاً عن ذلك، هو أسلوب في الحياة، إنها الحقيقة التي أثبتتها الدراسات العلمية.

في العصر الحالي هجر المجتمع العلمي العديد من النظريات القديمة، على سبيل المثال، نظرية مركزية الشمس، القائلة بأن الشمس مركز االكون، حلت محل النظرية القديمة الداعية بأن الأرض هي مركز الكون، ونفس المنهج والأسلوب قابل للتطبيق

في مسألة الحرب والسلم، إن مطالب التقييمات الواقعية للشؤون الحالية والتفكير العلمي يجب أن يلزم الناس أن يتخلواعن خيار العنف واختيار الوسائل السلمية على أنها الخيار الوحيد عملياً.

إن حقيقة الأصل المشترك استبعدت إلى الأبد معادلة «نحن والآخرون»، والآن المعادلة الوحيدة الصالحة هي تلك التي تقوم على مفهوم « نحن ونحن». شن الحروب هو بمثابة أن يشن المرء حرباً على أفراد عائلته وليس على مجموعة أخرى غريبة، إن الحرب اليوم هي فعل لعصر ماقبل التحضر، وليس عصر الحضارة الحديثة.

هذه الحقيقة الكونية جاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى:-

﴿.. أنه من قتل نفساً بغير نفس اوفسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعاً﴾ المائدة 32 إن الحرب لها نتيجة خطيرة واحدة ألا وهي قتل الآخرين.

الحرب هي في الحقيقة، فعل قتل جماعي، ومن هذا الاعتبار فإن الحرب هي أسوأ أنواع الجرائم شناعة... و بعبارة أخرى، فإن الحرب هي القتل والقضاء على البشرية، والسلام يعني حفظ الحياة للبشرية.

إنه من الواضح من خلال السياق السابق أن الخيار الوحيد الذي نملكه أمامنا ليس اللجوء للعنف، بل إحلال السلام.

إن قتل النفس البشرية ليس كمثل قتل حيوان، إن قتل إنسان هومثل قتل المرء نفسه. إذا أدرك الإنسان هذه الحقيقة، فإنه لن يجعل أي إنسان عرضة أو ضحية لأفعال العنف.

إذا أقدم إنسان على قتل إنسان آخر، فإن ذلك ناجم عن جهل، وإذا كان الناس يعانون من نقص في الوعي في هذا السياق، فبالإمكان معالجتهم، وعندها بالتأكيد سينتهي العنف.

إن الطريقة الأفضل لمواجهة العنف والحرب هو تنمية وتطويرالتعليم العالمي.

## الباب الثالث

# مناهج عدم المواجهة
# من أجل إحلال السلام

# مناهج عدم المواجهة من أجل إحلال السلام

## ■ حكمة الخالق من الخلق

لسنا نحن من صمم هذا العالم؛ هذا العالم مصمم من عقل أعلى وأسمى من عقولنا، لذلك يجب علينا اتباع مخطط الأشياء كما عبر عنها العقل المصصم للكون، وإلا فإن خططتنا وحياتنا ستنتهي بالفشل.

السلام أحد المبادئ التي صمم على ضوئها هذا الكون، وباتباع طريق ومنهج السلام فإنه لايوجد شيء يتعذر علينا تحقيقه، بينما بتجاهلنا سبيل السلام فإن كل مخططاتنا ستفضي إلى خسارة تامة. وهذا ماعبر عنه حقيقة الحديث النبوي الشريف، قال رسول اللّٰه ﷺ: - «إن اللّٰه رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»

إنّ هذا الحديث النبوي الشريف هو تعبير عن سنن الفطرة، وهي ليست بسنة أو قانون مبهم أو غامض بأي حال: فكل شخص يمكنه فهمه. إنّ قانون وسنة الفطرة قرر أنه في هذا العالم، وحده التخطيط السلمي قادر على تحقيق النجاح، والتخطيط المبني على العنف لا يمكنه النجاح على الاطلاق.

الأساس المنطقي وراء ذلك المبدإ الفكري هو أنه عندما يختار الإنسان الأسلوب السلمي، فإنه يختار المشي على طريق اللامواجهة،

ولهذا يجد الطريق الواضح الأفق ليكمل مسيرته فيه كما رسم وخطط له. من جهة ثانية، عندما يختار طريقة العنف ستنتهي مسيرته بالمواجهة والصدام، وفي هذه الحالة سيواجه المرء في كل لحظة بالعقبات من الطرف الآخر. إنّ هذا النوع من المسير مخالف للسنن الفطرية، ولذلك فإنه سينتهي بالفشل. طبقاً لتدبير الخالق للأمور، فإن كل شخص حر في اختيار ما يشاء، وذلك يعني أن طريق الحياة ليس طريقا في اتجاه واحد. في كل لحظة تأتي مركبات أخرى من الجانب المعاكس، ولهذا يجب على المرء أن يكون قادراً على التعامل مع ذلك الدفق من السيارات.

■ **إن فن إدارة القيادة هو ما يسمى بالسلام.**

بالنظر إلى الواقع، فإن السبيل الوحيد لضمان النجاح هو تبني استراتيجية مزدوجة في إعداد المرء لمخططه، ذلك بأن يسعى نحو تحقيق أجندته، بينما في نفس الوقت يجب عليه أن يتأقلم ويتكيف مع أنشطة الآخرين، وذلك الأمر شبيه بالمشي على حبل مشدود، ولكن من الممكن القيام به عبر التخطيط المناسب.

في هذا العالم يستطيع الشخص ممارسة حريته بأي شكل وأي طريقة يريد، ولكنه لا يستطيع تغيير التدبير والمخطط الإلهي للأمور، المرء أمامه خياران: إما أن يتأقلم ليتوافق مع الخطة الالهية ويحقق النجاح، أو أن يسير خلافاً لها ويكون مستعداً لمواجهة الإخفاق، فليس هناك خياراً آخر لأي أحد.

كان هناك رجل مغرماً بالأشجار، أراد رؤية الأشجار في حديقة منزله، وظن أنه إن قام بزراعة شتلة أو شجيرة فإنها ستستغرق وقتا

طويلا لتنمو وتصبح شجرة، فقرر أن يغرس شجرة كاملة النمو، وكلف عدة عمال بالحفر واستخراج شجرة كبيرة ونقلها إلى حديقته.

كان الرجل في غاية السرور، ويقول في نفسه (لقد قمت برحلة طويلة خلال يوم واحد، إن زراعة الشتلة أو البذرة سيكون عملاً طويلاً، والآن فإنني وجدت طريقاً سريعاً للحصول على شجرة خضراء يافعة). وفي صباح اليوم التالي، عندما نظر للشجرة وجد أن أوراقها بدأت في الذبول، وبعد عدة أيام جفت الشجرة بالكامل، كان عندها محبطاً، وعندما قام أحد أصدقائه بزيارته، وجده في مزاج حزين جداً، وعندما سأله عن السبب قال له: - « كنت في عجلة من أمري ولكن اللّه ليس كذلك»

هذه القصة تخبرنا بأن الذي يسير عكس السنن الكونية لن يحقق النجاح أبدا. إن السنن الكونية لا تنطبق فقط على الشجرة، بل إنها سنن للكون كله، ففي أي مجال يجب على المرء إتباع المسلك الفطري الطبيعي، وإلا فإنه لن يستطيع تحقيق أي هدف أو غاية جديرة بالذكر.

هذا المبدأ ينطبق أيضاً على ثقافة الإرهابي. إن هذا النوع من الثقافة سوف يفشل على الدوام على الرغم من أن مقترفي الأعمال الارهابية يمكن أن يبرروا أفعالهم بمصطلحات جميلة وجذابة.

قبل القيام بأي عمل، على المرء التفكير دائماً فيما إذا كان تخطيطه يتفق أو لا يتفق مع السنن الكونية، فاذا كان كذلك، فإنه سينجح وإلا سيتعرض للخسارة والفشل.

■ **سياسة المشاركة اللاتصادمية**

إن العدد التقريبي للنجوم في الكون يبلغ حوالي 100 اقتيليون، أو 10 اس 29 (29/10) وعدد الكواكب في الكون يبلغ حوالي 10 اس 24. ذلك العدد الهائل من النجوم والكواكب يتحرك بصورة دائمة مستمرة في هذا الكون الواسع منذ مليارات السنين، على سبيل المثال، الأرض تدور باستمرار حول الشمس، وكذلك الحال مع الكواكب الأخرى التابعة للنظام الشمسي، فهي تدور حول الشمس ولا تخرج عن مداراتها المحددة والدقيقة... ولملايين السنين تلك الأجسام السماوية تتبع مسارات محددة دون خلل في الحركة أو تصادم أحدها بالآخر.

إنها حقيقة، أن عدد من التصادمات حدثت في الكون، ولكن تلك الظواهر صممت من أجل تطوير هادف للكون، والذي يتطور ويتوسع باستمرار. تلك العمليات تم التخطيط لها بشكل جيد وتهدف لخدمة غرض نافع.

إن ذلك الانسجام الذي يتميز به الكون جاء ذكره في القرآن الكريم مع الإشارة للأرض والقمر، قال تعالى: - ﴿هو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر وكل في فلك يسبحون﴾ الآية

إنها سياسة المشاركة اللاصدامية التي أسست لسلام كامل في هذا الكون الفسيح...تلك هي ثقافة العالم الكبير، وهي نفس الثقافة التي تظهر جلية على مستوى العالم الدقيق.. الذرة أصغر المواد المادية في العالم، تحمل نفس الثقافة، فهي تحتوي عدد من الجزئيات الصغيرة تتحرك ياستمرار. ولكن يوجد نفس السلام في عالم الذرة كما هو الحال في عالم الكون الكبير.

يوجد على وجه الأرض حوالي خمسون مليون فصيلة حيوانية كبيرة وصغيرة، وبالمثل يوجد سلام كامل في عالم الحيوان.. إن حروب كالحرب العالمية الأولى أو الثانية لم تظهر على الاطلاق في عالم الحيوان، كل تلك المخلوقات الحية تنشغل بنشاطات كثيرة مختلفة، فكيف ساد وعمّ السلام الكامل بينها؟ ...الإجابة، هو أن الحيوانات تبنت أو نهجت نفس الثقافة وهي المشاركة واللاتصادمية.

إن الفارق الوحيد أن العالم المادي اتبع ذلك تحت تأثير قوانين الطبيعة، وعالم الحيوان والكائنات الحية تبنى ذلك كنتيجة للفطرة التي جبل عليها.

إن ذات الثقافة، ثقافة المشاركة وعدم التصادم مطلوبة في العالم البشري، إن كل شخص رجل وأمراة حر في ممارسة نشاطاته، والقيد الوحيد على حرية الرجل والمرأة أن لايشكل أذى على أقرانه أو أقرانها، بعبارة أخرى على الإنسان أن يختار ذات الثقافة، وهي ثقافة المشاركة واللاصدامية. إنها الصيغة الوحيدة لإحلال سلام قائم على السنن الكونية.

إن ثقافة المشاركة واللاصدامية تحلل السلام، والسلام يشرع الأبواب أمام كل أنواع الفرص. وبانتهاز تلك الفرص يمكن لكل رجل وامرأة تحقيق أهدافهما. بكلمات أخرى إن كل شخص لديه الفرصة لتحويل ما هو محتمل (مأمول)، إلى حقيقة واقعة.

تلك هي السنن الكونية، وهذه الشرعة والسنة الكونية هي ما تم اختياره في الاسلام، هنا ساذكر معلومتان ذات صلة، قبل الهجرة سنة (622هـ)، عندما كان رسول الاسلام في مكة، نزلت هذه الآية القرآنية: - "لكم دينكم ولي دين"

بعد الهجرة عندما استقر النبي ﷺ في المدينة، أكد على نفس المبدأ (حرية الاعتقاد)، في ذلك الوقت تقريباً نصف سكان المدينة من اليهود والنصف الآخر من المسلمين، أصدر النبي ﷺ الوثيقة التاريخية المسماة بصلح الحديبية، والذي أعلن فيه، (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم) [1]، أي لكل الدين الذي يرتضيه.

ذلك المبدأ وهو أن سياسة المشاركة واللاتصدامية، قائم على مبدأ خالد، والذي هو قائم سابقاً في العوالم غير البشرية، وهو أيضاً أمر ضروري في عالم البشرية.

تلك الثقافة ستكون متبنة من أهل الجنة أيضاً كما ذكر القرآن الكريم في هذه الكلمات: - «والله يدعو إلي دار السلام»

إن سياسة المشاركة واللاصدامية تمنح كل شخص رجل وامرأة مجال للعيش دون أن يتسبب في الأذى للآخرين من النسل البشري، إنها الصيغة الوحيدة لتحقيق السلام والإنسجام.

إن المشاركة اللاصدامية تضمن لكل شخص الحصول على فرص متساوية ليتطور، وتلك الثقافة قائمة في الكون كله، والفارق الوحيد كون أنه في العوالم غير البشرية، فإنه قائم في ظل السنن الكونية الطبيعية، بينما الانسان هو من يختار حراً بنفسه تلك الثقافة، دون أي إكراه، التفكير

الانساني معني بالاختيار الذي يقوم به، ولذلك فإن ظاهرة التطور العقلي توجد فقط في العالم البشري وليس في العالم اللابشري.

■ **سياسة المفاصلة (الفصل)**

العالم البريطاني اي اي كيليت (1864 - 1950)، كتب عن النبي ﷺ، في كتابه مختصر تاريخ الاديان، ملاحظاً:- "لقد واجه (النبي صلى الله عليه وسلم) الشدائد والمصائب بعزم وتصميم لينتزع النجاح من الفشل والاخفاق"[1]

ما هو الأسلوب والمنهج الذي قاد النبي ﷺ لذلك النجاح الباهر؟ لقد كان ذلك النجاح من خلال تبني سياسة المفاصلة بين مسألتين، أحد الأمثلة على ذلك أنه في سنة 610 ميلادياً، بدأ النبي محمد ﷺ رسالته في مكة، للدعوة إلى عقيدة التوحيد، وهي الإيمان بإله واحد وعبادته وحده لا شريك معه، كان ذلك في الربع الأول من من القرن السابع الميلادي، وفي ذلك الوقت كان جل العرب من عبدة الأصنام.

قبل أربعة آلاف سنة سابقة لذلك، بنى النبي إبراهيم عليه السلام مسجد في مكة لعبادة إله واحد، ذلك المسجد أطلق عليه اسم الكعبة، ولكن في فترات لاحقة، قام عبّاد الأصنام من مختلف القبائل العربية بوضع أصنامهم حول الكعبة، حتى بلغ عدد الأصنام المحيطة بالكعبة ما لا يقل عن ثلاثمائة وستون صنم.

بالنظر لكون الرسول صاحب رسالة توحيد، كان ذلك بمثابة أكبر مشكلة تواجه النبي ﷺ ظاهرياً ما كان يتوجب عليه القيام به، هو البدء في تطهير الكعبة من الأصنام، ولو تطلب الأمر اللجوء إلى المواجهة العنيفة مع السدنة القيمين على الكعبة.

ولكن النبي ﷺ حلل الوضع بتروي وسكينة، وانتهى إلى خلاصة أن وجود الأصنام في مكة وجل الكعبة على الرغم مما يحمله ظاهرياً

من عامل سلبي، إلا أنه يحمل جانبا إيجابيا، وهو أن تلك الأصنام مرتبطة بالعديد من قبائل عربية في الجزيرة العربية، فإن الناس سيأتون إلى مكة من مختلف الجزيرة العربية طول العام لزيارة أصنامهم، لذلك سيتواجد بشكل يومي بالكعبة وحولها تجمعات لأعداد معتبرة من الناس.

لقد لجاء النبي الى السياسة الفصل بين مسألتين: وجود التماثيل في الكعبة المشرفة واجتماع الناس حول الكعبة. قرر النبي تجاهل الاصنام وعمل على الاستفادة من وجود الزوار لتبليغ رسالة الله لهم ولقد التزم النبي عليه الصلاة والسلام بهذه السياسة لمده 13 عاما حتى اعتنق عدد كبير من أهل مكة الإسلام... هذه هي الاستراتيجية الحكيمة التي وصفها أي. اى كليت بهذه الكلمات: **"لقد واجه الشدائد والمصاعب بعزم وتصميم لينتزع النجاح من الفشل"**

هذا المبدأ الذي لجاء اليه النبي محمد لم يكن من المبادئ الدينية بل قام هذا المبدأ على قانون الطبيعة او سنه الخلق بتعبير اخر ووفقا لقانون الطبيعة فإن هذا المبدأ ينطبق على الجميع سواء كانت قضيتهم دينيه او دنيوية.

في الحقيقة ووفقا لهذا القانون يصاحب كل الأحوال امرين، الا وهما المشاكل والفرص ولأيمكن باي حال أن يوجد احداهما ويغيب الاخر: ان توجد المشاكل وتنمحي الفرص، ولهذا السبب فان الحكمة تقتضي انه قبل الشروع في مهمه ما يجب مراجعه الامر بطريقه واقعيه بعيدا عن العواطف والامتناع عن العمل عندما يكون نضرالانسان وعقله لا يرى سوى المشاكل لان أسلوب العمل هذا نقيض ومخالف لقانون الطبيعة (سنه الخلق).

مبدا (الفصل) يمنع الانسان من اللجوء الى العنف وباستعمال وسائل السلم سيحقق أهدافه

الوسيلة الوحيدة العملية في هده الدنيا هي التي تقوم على أساس التخطيط الإيجابي المتمثل في الاعـراض عن المشاكل واكتشاف الفرص والاستفادة منها بأعلى قـدر... وفقا لقانون الطبيعة فان هذا هو التخطيط الواقعي الدي وحده دون سواه سيكتب له النجاح وتحقيق كل الاهداف المطلوبة..

يبرهن المتورطون في أعمال العنف في هذا العصر على جهلهم وعدم درايتهم بمبادئ ومقومات النجاح التي تقوم على سياسة"المفاصلة" وبما ان هولا يسيرون ضد وخلاف لقانون الطبيعة فلن يكتب لهم النجاح ابدا في هذه الدنيا وقدرهم هو ان ينحتوا تاريخا من الدمار ولن يتمكنوا ابدا من صنع تاريخ التقدم والرقى والازدهار.

ان سنة اللّه في الكون اقتضت ان سبيل العنف لن ينجح وطريق السلام سيكتب له كل النجاح.

الاعمال التي ترتبط بنتائجها في هذه الدنيا هي التي تقوم على السلام والاعمال التي تقوم على العنف مصيرها دائما الفشل كمثل المزارع يرمى القنابل في الحقل ويتوقع وينتظر ضهور الحدائق غنّاء

**■ قوة السلام أعظم من قوة العنف**

شوباس كاندرا بوز (1897 - 1945)، كان قائداً عظيماً في الهند، والهدف الذي رسمه لنفسه هو تحرير الهند من الحكم البريطاني، و تقدم للهنود بهذا الشعار:(أعطوني الدماء أمنحكم الحرية).

ولقد منحه الشعب الهندي الدماء عبر الجيش الوطني الهندي، مع ذلك، تلك الاستراتيجية فشلت بالكامل، وشوباس كاندرا بوز نفسه مات في حادث قبل أن يتمكن من تحقيق هدفه.

المهاتما غاندي برز كقائد حقيقي للكفاح الهندي للتحرير، غير أنه اختار أسلوبا ومنهجا مغايرا لتحقيق هدفه، كان ذلك عن طريق السلام، كان شعاره الذي اختاره لقومه: (ساعدوني في نشاطاتي السلمية، وأنا سأمنحكم الحرية).

إن استراتيجية غاندي السلمية أدت دورها ونجحت الهند في الظفر بالحرية (الاستقلال)، في 15 اغسطس 1947م.

إن استراتيجية سوباس كاندرا بوز التي أسست على الكفاح المسلح، تلك كانت من شأنها أن تثير العنف المضاد من الحكام البريطانيين، الذين كانوا في موضع أكثر قوة. وبالتالي، فإن استراتيجية سوباس كاندرا بوز لم تجدي نفعا، واستمر الحكام الإنجليز في مواقعهم.

كان أسلوب عمل ورؤية غاندي على النقيض، فهو عندما أعلن بأنه سيواصل كفاحه من أجل نيل الحرية والاستقلال، ولكن من خلال قوة السلام وليس من خلال قوة العنف، مما أفقد الحكام الانجليز أي مبررات لاستخدام العنف من جانبهم، لقد قيل إنه بعد إعلان غاندي ذلك، أبرق الحاكم الإنجليزي بالهند برسالة إلى حكومته جاء فيها: (يرجى تعليماتكم عن كيفية قتل نمر مفترس دون معركة).

التجربة السياسية الهندية المذكورة آنفاً تبين قوة السلام أكثر نجاعة بكثير جداً من قوة العنف.

والمثال التاريخي المشابه فهو من سيرة النبي محمد ﷺ لقد بدأ

مهمته سنة 610 ميلادياً في الجزيرة العربية، في ذلك الوقت كانت الجزيرة العربية قبلية في ثقافتها، بسبب سيطرة ظروف ذلك العصر، كانت هناك مناوشات حربية بين النبي ﷺ وأعدائه، وظل الوضع كماهو دون حل أو تسوية.

لذلك، فأن النبي ﷺ بحكمة تمكن من الوصول لاتفاق سلام، التي سجلها التاريخ تحت صلح الحديبية سنة (628 م)، كانت تلك اتفاق صلح لوقف الحرب بين الظرفين، وكنتيجة لذلك الصلح، تحصل النبي ﷺ على فرض جمة لصالح انجاز مهمته من خلال الانشطة السلمية، ونتيجة الصلح اثبتتبحق أنها معجزة، فخلال سنين قليلة قبلت الجزيزة العربية كلها عقيدة النبي ﷺ .

شهد الكاتب الامريكي مايكل هارت بان النبي ﷺ هو الشخصية الاعظم ناجحاُ عبر التاريخ [1]. ولكن ماهو سر ذلك النجاح الاسمي؟ لقد كان بالتأكيد «السلام»، من خلال التخطيط السليم، أرسى النبي ﷺ السلام في الجزيزة العربية، وهو ما مكانه واصحابه من الاستفادة من الفرص ظهرة وفتحت بعد ذلك. أن ناحج النبي ﷺ المعجز كانت بسبب استرتيجيته السلمية.

إن السياسة العامة للنبي ﷺ ذكرت في الحديث التالي: - « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ بأيسرهما» البخاري [2].

وهنا، فإن الأمر الأيسر هو سبيل السلام، والأمر الأصعب هو طريق الحرب، لقد كانت السياسة التي اتبعها النبي ﷺ هي التي جعلته ناجحاً للغاية.

إن نطاق التخطيط السلمي يوجد في كل مكان وفي جميع الاوقات،

والشرط الأساسي الوحيد له هو الصبر، لأن الصبر يمنح القدرة على تحليل الأوضاع والوقائع بعقلية موضوعية، عندما يتحرر المرؤ من التحامل والتحيز، يصبح ذو تخطيط فائق، اعترف المؤرخون عموماً بأن النبي ﷺ كان رجلاً ناجحاً جداً عبر تاريخ العالم، والسبب وراء نجاحه العظيم يكمن ببساطة في وضوح أفكاره حول التخطيط في ظل الحدود والسبل السلمية.

لماذا يعد السلام أكثر قوة من العنف؟ والسبب هو جعل الخصوم يتكبدون الخسارة، في حين أن من يلتزم بالطرق السلمية يجعل نفسه أقوى، إن هدف منهج استخدام العنف هو أسلوب سلبي، بينما المنهج السلمي هو أمر إيجابي، إنه من بداهة الحياة أنه مهما ألحق طرف ما خسائر بالطرف الآخر، فإن تلك الأعمال والخسائر لن تزيد من قواه الذاتية، إن سر النجاح هو أن يجعل المرؤ نفسه أكثر قوة، وذلك الأمر ممكن تحقيقه فقط عندما لا يضع المرؤ هدف سلبي لنفسه، بل بالأحرى صوغ سياسته في نظرة بهدف التوصل لنتيجة إيجابية.

- **الأمثلة التي قدمها النبي ﷺ.**

لقد كان يوسف عليه السلام نبياً من أنبياء بين اسرائيل، وكان محمد ﷺ نبياً من بني إسماعيل عليه السلام، وكلاهما قبلا من بين الأديان السامية، وكلاهما كان فائق الإنجاز.

قدم النبي يوسف عليه السلام، إلى مصر القديمة حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد، في ذلك الوقت كان ملوك الهكسوس حكام مصر، في ذلك الزمان حلت مجاعة كبيرة بمصر، ولكن نبي الله يوسف عليه السلام ابتكر خطة لإنقاذ البلاد من المجاعة، في تلك اللحظة

نصب ملك مصر يوسف عليه السلام، في منصب رفيع في حكومته، هو إدارة موارد وخزائن الدولة (خزائن الارض) (يوسف - 55)، بحسب الكتاب المقدس قال الملك ليوسف عليه السلام،: -

«**سوف تكون سيداً على بيتي، وكل شعبي سيخضع لأوامرك، سأظل أنا أعلى منك باعتبار العرش**» [1] لقد تقبل نبي اللّه يوسف المنصب المقدم له من الملك واستمر فيه ربما إلى حين وفاته، وقد أشار القرآن الكريم لتلك القصة كـ (أحسن القصص)، فكيف صارت قصة يوسف عليه السلام، أحسن القصص؟ تم ذلك من خلال الإلتزام والعمل بالحكمة، وظلت السلطة والسيادة في البلاد بيد الملك، واختار نبي اللّه يوسف صيغة التكيف السياسي.

في الآية الكريمة المذكورة سابقاً (أحسن القصص)، يعني أفضل طريقة، إن منهج العمل المتبع من النبي يوسف عليه السلام، كان أنه لم يحاول أبداً أن يخلع الملك، بل إنه قبل الوضع السياسي القائم في وقته، وكانت النتيجة معجزة، لقد كان يوسف عليه السلام، قادرا على إصدار الأوامر في كل شئون مصر القديمة على الرغم من عدم اعتلائه العرش، إن ذلك المنهج هو الذي جعل سيرته (أحسن القصص)، لقد ضرب اللّه تعالى هذا المثال من خلال نبيه يوسف عليه السلام، حتي تقتدي به الأجيال اللاحقة، ويحققوا النجاح بنفس الطريقة التي سلكها النبي يوسف عليه السلام،.

القصة الأخرى هي قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لقد بدأ رسالته في النصف الأول من القرن السابع الميلادي في الجزيرة العربية، في ذلك الوقت كانت الجزيرة العربية منطقة يسيطر عليها الشرك، وكانت مكة مركز ثقافة عبادة الأوثان.

عندما بدأ النبي ﷺ دعوة التوحيد عارضه كل قادة القبائل. وخلقوا جميع أنواع المشاكل له ولأصحابه رضوان الله عليهم، ثم في سنة 628 ميلادي، في الحديبية على بعد عشرة اميال من مكة المكرمة، بدأ النبي ﷺ مفاوضات لإحلال السلام في الجزيرة العربية، لقد كان رؤساء القبائل معارضين بشدة للدخول في أي اتفاق سلام مع محمد ﷺ وقبل النبي ﷺ – بمنتهي الحكمة – كل الشروط المقدمة من الجانب المعادي، وفي المقابل وقعوا صلح الحديبية الذي نص على وقف الحرب لعشر سنوات.

بعد توقيع صلح الحديبية حلت في جزيرة العرب حالة استقرار طبيعية، فعمل النبي ﷺ جهده ودون إضاعة للوقت في نشر دعوته في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة. كانت النتيجة معجزة، ففي سنوات قليلة قبلت الجزيرة العربية كلها دين الاسلام.

لقد كان صلح الحديبية تعبيراً عن المنهج السلمي، وبالعمل في ضوء هذا المنهج برز النبي ﷺ سيد الوضع في شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت.

إن النبي يوسف عليه السلام، حقق النجاح بقبوله سلطة حكم الملك، وفي المقابل منحه الملك الفرصة لإدارة كل شئون البلاد في المجال السياسي.

نفس الأسلوب الذي اختاره النبي محمد ﷺ مع اختلاف الطريقة، لقد قبل السلطة السياسية لزعماء القبائل، ومن خلال التخطيط وانتهاز الفرصة المتاحة في الميادين الغير السياسية، فكانت النتيجة معجزة أو مذهلة، ظهر النبي ﷺ كقائد أو زعيم لشبه الجزيرة العربية.

إن منهج النبي يوسف عليه السلام يشار له في القرآن الكريم بـ(أحسن القصص) يوسف - 3، بينما يشار لنتيجة التخطيط النبوي في الحديبية بـ (الفتح المبين)، الفتح - 1، إن جوهر كلا المنهجين هو عدم اختيار المواجهة في ميدان السياسة واستثمار الفرص في المجالات اللاسياسية. فمن المؤكد أن المرء سيخرج منتصراً.

إن الطريقة التي اتبعها على التوالي نبي الله يوسف ونبي الله محمد صلى الله عليهما وسلم، لا تتعلق فقط بالزمن الماضي، ولكنها قابلة للتطبيق في أي زمان وإلى يومنا هذا. وهذه الطريقة مجدية وقابلة للتنفيذ. فذلك المبدأ هو مبدأ عالمي أو كوني، ولا يوجد مبدأ آخر يمكن أن يعمل في أوضاع مماثلة.

■ **استراتيجية العزل**

وقعت غزوه الخندق سنه 621 حينما قرر معارضي بني الإسلام الهجوم على المدينة، ولكن الإدارة الحكيمة للرسول محمد ﷺ جنبت المسلمين القتال ذلك أن النظام الاستخباراتي المنظم علم أن جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل يسير نحو المدينة المنورة قادما من مكة التي تبعد 450كم... انسجاما مع سياسته العامة رأى النبي تجنب القتال وبعد أن شاور أصحابه قرر أن أفضل السبل للمواجهة هو حفر الخندق خارج المدينة في المنطقة المفتوحة أما الجوانب الثلاث الأخرى لم يكن من الممكن اختراقها بسبب السلسلة الجبلية المحيطة بالمدينة وحقول النخيل ذات الكثافة الزراعية العالية.

عمل النبي ﷺ وأصحابه عشرة أيام وليالي حفر خلالها الخندق بطول 5540متر وعرش 4.6 متر وعمق 3.2متر.

وصلت قريش وأحلافها مشارف المدينة المنورة ليجدوا أن مدخل المدينة مقفلا الأمر الذي أجبرهم على التخييم خارج المدينة وبعد أسبوعين من التردد والإحباط أجبروا على التراجع والعودة إلى ديارهم.

كان هذا مثالا لسياسة أو استراتيجية الحواجز (Buffer Strategy) حيت أصبح الخندق حاجزا بين الفريقين منع بفاعليه وقوع القتال.

تتوقر في هذا العصر استراتيجية الحواجز (Buffer) على نطاق أوسع. الأمم المتحدة سنه تأسست سنة 1945م وتوسعت لتضم أعضاء جميع دول العالم تقريبا وبموجب الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة تقرر بتوافق الآراء أنه إذا هاجمت أي دولة أخرى، فإن الأمم المتحدة تتدخل لوقف الاعتداء. أحد الأمثلة الناجحة يتمثل في اجتياح العراق لدولة الكويت سنة 1990م الأمر الذي جنب دولة الكويت الدمار.

الأمم المتحدة من هذا المنظور نعمة عظيمة لكل دول العالم لأنها أي الأمم المتحدة أصبحت حاجزا (buffer) مؤسسي يتمتع بالصفة القانونية.

استراتيجية الحواجز فعالة بصورة كبيرة لمنع الحرب، فبينما كانت قابلة للتطبيق على نطاق محدود في القرن السابع ميلادي صارت في القرن الحادي والعشرين وسيلة غاية في التنظيم لمنع الحروب... صارت القاعدة وليت استثناء لتشمل كل دول العالم.

اليوم طورت الحضارة الحديثة طريقة جديدة جدا لمنع وتجنب الاشتباكات ألا وهي الحوار السلمي.

عن طريق الحوار السلمي وبمساعدة التقنيات الحديثة أصبح من الممكن تحويل صراع العنف إلى ساحة النقاش الفكري. وهذا شكل آخر لاستراتيجية العزل المؤسسي (إقامة الحواجز) التي حدث في هذا العصر.

إذا استعمل كائن من كان استراتيجية الحواجز في التعامل مع الاشتباكات الوشيكة الوقوع سيتعامل بنجاح مع كل التحديات والمشاكل المصاحبة. استراتيجية الحواجز هي أحد أهم السبل لتحقيق أو صناعة السلام وكل ما يحتاج الانسان للاستفادة منها هو التحلي بالصبر والتخطيط القائم على الحكمة.

لا حاجة للحكمة لدخول دوامة العنف والمواجهات المسلحة فكل غبي يمكنه فعل ذلك ولكن إقامة السلام والحفاظ عليه يتطلب مستوى عالي من الحصانة والتخطيط والذي يفقه كيفية التعامل مع التحديات والمشاكل الطارئة بالتخطيط الحكيم سيختار دائما سياسة عدم الوقوع في دوامة العنف والمواجهات المسلحة.

تقتضي الحكمة وجوب العمل باستراتيجية الحواجز عندما تكون الأوضاع وشيكة الانفجار بغية منع الأطراف المتعادية الى اللجوء الى المواجهات المسلحة ولقد استعملت هذه الاستراتيجية على نطاق محدود في العصور الماضية ولكن اليوم أصبحت لهذه الاستراتيجية مؤسسة عالمية.

التطور الكبير في مجال الاتصالات خاصه مكّن بصورة كبيرة من فتح الحوار وتبادل الآراء...تحرير الفكر في الحقيقة وانتشار التعليم مكّن لكل الافراد والجماعات العمل بهذه الاستراتيجية.

# البَابُ الرَّابِعُ

## شهادة التاريخ

# شهادة التاريخ

■ **بين المثالية والبراغماتية**

الفلاسفة والمصلحون على مر العصور مهووسون بمفهوم المثالية. بعضهم أراد حكومة مثالية وفشلوا فى ذلك، وبعضهم حاول إنشاء مجتمع مثالي، ولكنهم أيضا فشلوا في ذلك، وآخرون أرادوا إقامة عدالة مثالية في المجتمع ولكنهم على الرغم من كل التضحيات فشلوا فى تحقيق أهدافهم.

● ماهو السبب وراء كل هذه الإخفاقات؟

لقد أدرك الصواب من قال إن المثالية غير قابلة للتحقيق، والسبب هو أن الإنسان يولد بعقل مثالي التفكير، ولكن العالم الذى نعيش فيه أقل مثالية... لقد استهلكت الانسان الرغبة في الوصول إلى المثالية، ولكن قدره أن يعيش في دنيا بعيدة عن المثالية.. عبر أحد العلماء المشهورين بقوله (يبدو أن الإنسان موجود في عالم لم يصنع لأجله) [1]

يمكننا أن نعزو كل هذا الاضطراب في المجتمعات البشرية لهذه الحقيقة... كل الرجال والنساء في هذه الدنيا يريدون الحياة وفقا وانسجاما مع طريقة تفكيرهم المثالية، ولكن لاختلاف سنة الحياة يعجز هؤلاء عن تحقيق أهدافهم... هذا الفرق بين إحساسنا بالمثالية والواقع الذي نعيشه يخلق مشاكل فتتملك الناس مشاعر الغضب

نتيجة لذلك الأمر الذي يقود إلى حال من الغضب والشكوى ثم الاعتراض وقد يؤدي في نهايته إلى العنف والقتال كوسيلة لتحقيق أهداف تبقى دائما بعيدة المنال.

الطريقة الوحيدة لإقامة السلام في هذه الدنيا هو قبول معادلة البرغماتية..... إنها لمن أعظم الحكم أن يرضى الإنسان بأهداف واقعية (براغماتية)عندما يتعذر عليه تحقيق الأهداف المثالية... المثال التوضيحي هو الإسكندر الأكبر الذي ورث أرض اليونان وصار ملكا عليها.. بالنسبة إلى الإسكندر لم يكن حكم اليونان مثاليا لأن رغبته كانت حكم العالم، وسعى بجيوشه لتحقيق هذا الهدف، ولكن التاريخ يخبرنا أن الإسكندر وكلّه خيبة أمل لهزيمته توفي سنة 323 قبل الميلاد في بابل وهو فى عمر 32 سنة.. بالنسبة للاسكندر الأكبر كان حكم اليونان الخيار البراغماتى، ولكن لنزعته ونزوته السياسية اختار حكم العالم.. انسجاما مع طريقة تفكيره، خيار الإسكندر كان خيارا مثاليا ولكن وفقا لطبيعة الخلق، فالمثالي غير قابل للتحقيق، ولو أن الإسكندر لجأ إلى الخيار البراغماتي لكتب له النجاح دون أدنى شك ولكنه في سعيه خلف المثالي فقد ماسبق له تحقيقه.

هذا حال كل البشر تقريبا.. يقول المثل الياباني (إذا ركضت خلف أرنبيين تفقد كليهما) ... بتحوير يسير على هذا المثل يمكننا القول إن من سعى وراء الاهداف المثالية سيفقد كل من الأهداف المثالية والأهداف القابلة للتحقيق.

بسبب هذا الهوس يعاني الناس عموما من ضغوطات الحياة التي

تتزايد مما يدفع الإنسان للشكوى والاعتراض، الأمر الذي يقود عادة إلى العنف هذه السيكولوجية هي الأساس الذي تنطلق منه أعمال العنف ... إذا أدرك الناس قانون الطبيعة (سنه الخلق)، من هذا المنطلق سيمكنهم العيش بسلام ويمكنهم أن يهبوا الآخرين حياة السلام.

لقد كان حلم روسيا إقامة الامبراطورية الشيوعية، الأمر الذي ساهم في انخراط روسيا في الحرب العالمية الثانية ... لقد كان هدفا غير واقعي، بالنسبة إلى الإتحاد السوفييتي، ولو أنهم لجأوا إلى أهداف واقعية لم يكن التاريخ ليدونِ أن الشيوعية فلسفة تبرر إستعمال العنف وسيلة لتحقيق أهدافها المتمثلة في إنشاء مجتمعات غير طبقية.

هذا المبدأ ينطبق أيضا على أولئك الذين اختاروا العنف وسيلة لتحقيق الأهداف.. أولئك الذين صنعوا أهدافا خاصة بهم كمثل إزالة الظلم والعدوان أو تحقيق العدالة المطلقة «المثالية»... أولئك الذين أظهرت تجاربهم - وعلى الرغم من حجم التضحيات لعهود طويلة - أنها لم تحقق أي شيء ... كل ما أنجزوه هو تاريخ من الدمار، ولو أنهم لجأوا إلى الوسائل السلمية بدلا من وسائل العنف، لذكرهم التاريخ كأناس عبروا طريق السلام لتحقيق أهدافهم وغاياتهم..

**■ التخطيط المبني على الحقائق**

ذُكرت أحد الجوانب لخطة اللّه في الكون في نص القرآن الكريم ﴿ ولنبونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ هذه الآيات تعني أنه وفقا لخطة اللّه في الكون (سنة الخلق)، فإن الخسارة جزءٌ أساسى في هذه الحياة الدنيا على كلا الصعيدين السياسي وغير السياسي، ولذلك فإن الإستجابة أوالموقف الصحيح هو ضرورة القبول بها لكونها حقيقة وواقع، ثم يلي ذلك التخطيط السلمي للمستقبل بعيدا عن مجالات المواجهة .... هذه هي الوصفة الحكيمة الوحيدة لتحقيق النجاح في هذه الدنيا، وعلى النقيض من ذلك فإن الذين ينشغلون بالتخطيط لاستعادة مافقدوه محكوم عليهم بالفشل والخسران.

كانت الباكستان جزء من شبه القارة الهندية، وقد تأسست سنه 1947 على يد على جناح (1948 - 1876)، بعد انفصالها عن الهند، ولكن باكستان التي تحصل عليها علي جناح لم ترتقي إلى مستوى أحلامه، وفي إحدى خطبه استنكر الحدود الجغرافية المقتطعة للباكستان [1]..

تحول ذلك الخطاب لمؤسس الباكستان علي جناح إلى بوصله تحديد المسار لكل الباكستانيين، ثم أصبح سياسة قومية لدولة الباكستان، تندد وتستنكر الحدود الجغرافية المقتطعة ... وفقا لمقترح التقسيم الأول كانت كشمير جزءا من دولة الباكستان، ولكن بعد الانفصال صارت كشمير جزء من الهند، الأمر الذي رفضه واستنكره قادة الباكستان مما جعل كل السياسات القومية للباكستان تتمحور حول

هدف أن تكون كشمير جزءا من الباكستان.. ولقد عبر عن هذا المبدأ الرئيس بيريز مشرف قائلا: (إن كشمير تجري في دمنا) [2] بسبب هذا الهاجس انخرطت الباكستان في عدة حروب مع الهند، وأطلقت ما يسمى بحرب الوكالة ضد الهند، قدمت فيها كل الدعم لجنود غير معلنة... استنفذت الباكستان أكثر من 60 عاما في محاوله استرجاع كشمير ولم تكلل تضحياتها بالنجاح، بل وعلى العكس من ذلك أثبتت هذه الاستراتيجية كونها سلبية، وأدت إلى نتائج عكسية إلى درجة أن الباكستان في أعين العالم تصنف كونها دولة فاشلة.

المثال الذي تختلف تجربته جذريا عن الباكستان هو سنغافورة التى كانت فيما مضى جزء من ماليزيا، ثم انفصلت عن ماليزيا سنة 1965 ... الحدود الجغرافية كانت أيضا حدودا مقتطعة، ولكن مؤسس سنغافورة القائد لى كوان يو (1923 - 2015) كان رجلا حكيما ولم يهذر الوقت في محاولة إعادة توطيد الحدود الجغرافية لسنغافورة، بل كرس ذاته كلية للتخطيط لتطور وتقدم ورقي سنغافورة معتمدا على المصادر المتاحة، وبعد 40 سنة من تأسيسها أصبحت سنغافورة إحدى دول العالم المتقدمة.

دخل الفرد في الباكستان هو 4840 دولار أمريكى سنويا، بينما دخل الفرد في سنغافورة هو 76860 دولار أمريكي. سنغافورة بلد خال من الديون، بينما ديون دولة الباكستان وصلت إلى حد مأهول وتقدر ب 65 مليار دولار أمريكي. الباكستان مصنفة في الترتيب الثامن للدول الأكثر خطورة وفقا لاستبيان «الدول الأكثر تهديدا» الصادر في 9 ديسمبر 2014 عن مؤسسة الانتل سنتر بواشنطن، بينما البيانات الصادرة عن وحدة «المعلومات الاقتصادية: يناير 2015 صنفت سنغافورة كونها ثاني أفضل الدول في العالم.

لايوجد سوى سبب واحد وراء هذه الفروقات بين البلدين ألا وهو أن الباكستان بعد تأسيسها نزعت إلى العنف، ونتيجة لذلك دفعت ثمنا باهظا، ولكن سنغافورة لجأت إلى الأنشطة البنّاءة ذات الطابع السلمي، وهي اليوم تجني أفضل ثمار هذه السياسات السلمية.

قضية فلسطين لا تختلف، ذلك أنها قُسمت سنه 1948 وفقا لبنود وعد بلفور ... رأى العرب أن فلسطين أرضاً مغتصبة، وبذلوا جهودا جبارة لاستعادتها، ولكن ومع كل التضحيات الجسام لم يكتب لهم النجاح، ذلك لأنّ كفاحهم لم يكن ضد إسرائيل، ولكن كان كفاحاً في مواجهة قانون الطبيعه (سنة الخلق) ...

الحقيقه هي أن النجاح في هذه الدنيا قابل للتحقيق بالتخطيط وبالوسائل السلمية، وهذا يستلزم أن يوضع التخطيط آخذاً في الاعتبار المصادر المتاحة، وأمّا التخطيط الذي يقوم على المصادر الغير المتاحة سيقود حتماً إلى العنف تجاه الأعداء المزعومين، والذي يقود بدوره إلى المزيد من الخسائر.

التجربة تبرهن على أن التخطيط القائم على المصادر المتاحة يولد السلام.. إن من مزايا التخطيط السلمي أن عملية البناء والتقدم تبدأ من اليوم الأول، بينما التخطيط القائم على المصادر الغير متاحة سيجعل عملية البناء والتقدم أمرا رهين بالمستقبل.

التخطيط في جوهره نشاط سلمي، يتبعه بالضروره تسخير وترجمة الامكانيات والطاقات إلى أفعال... عندما تنشغل بالتخطيط فإن العملية برمتها تصطبغ بصبغة سلمية، ولكن عندما تحاول الوصول إلى أهدافك بوسائل العنف فلن يكتب لك النجاح.. إن سنة

الخلق اقتضت أن من كانت بدايته صحيحة يصل إلى هدفه ومبتغاه... هذا المبدأ يسري على الكل، أفرادا وجماعات... من تورط في أنشطة العنف لن تكلل جهوده بالنجاح، لأن بدايته لم تكن صحيحة، وعلى العكس من ذلك، فالأفراد أو الجماعات التي تتبنى الوسائل السلمية تصل وبكل تاكيد إلى النهايات المرغوبة لأن أعمالهم بدأت بداية صحيحة.

الإرهابيون قد يقتلون الناس بسلاحهم وقنابلهم، ولكنهم ليس بمقدروهم إلغاء قانون الطبيعة (سنة الخلق) ...تغيير سنة الخلق فوق قدرة الإنسان

■ **أنشطة العنف وأنشطة السلام**

ذكر المؤرخ الإنجليزي إدوارد جيبون Edward Gibbon (1794 - 1737) في كتابه المشهور "تاريخ سقوط الأمبراطورية الرومانية": (التاريخ حقا ما هو إلا سجل لجرائم وحماقات ومصائب البشرية) [1]

(History is indeed little more than the register of crimes, follies, and misfortunes of mankind) [1]

هذه ملاحظة سلبية، لكن كل حدث من أحداث التاريخ سواء كان سلبياً أو إيجابياً، تكمن في طياته دروس وعبر. من هذا المفهوم سيكون من الصواب القول أن التاريخ مليء بالدروس والعبر النافعة.

خاض قادة أوروبا حربين عالميتين، الحرب العالمية الأولى (1918 - 1914) والحرب العالمية الثانية (1945 - 1939)، فكان مجموع الضحايا من المدنيين والعسكريين لهاتين الحربين ما يقارب 90

مليون نسمة، وتراجع اقتصاد القارة وتكبدت خسائر فادحة ولحقت أضرار بالغة بالأعمال البنّاءة كالتعليم، ولم يدوّن المؤرخون أية نتائج إيجابية انبثقت عن هاتين الحربين.

في القارة الأوروبية عينها، وفي نفس الفترة الزمانية، كانت هناك بعض الأنشطة تجري مواكبة للحرب، مارس هذه الأنشطة العلماء والمعلمون والمفكرون، وكانت نتائج أعمال هذه النخبة مختلفةً كل الإختلاف، ذلك أنها توّجت بتقدم وتطور عظيم دونه التاريخ، ومنحنا قمة الحضارة المعاصرة.

يمكننا أن نعتبر انّ المجموعة الأولى تتكون من أصحاب مذهب العنف، بينما المجموعة الثانية تتكون من أصحاب مذهب السلام، أعمال وأنشطة العنف لم تقدم أي شيء للعالم سواء في الحرب العالمية الأولى أو الحرب العالمية الثانية، أما الأعمال والأنشطة ذات الصبغة السلمية فإنها أهدت إلى العالم حضارة متقدمة لم يسبق لها مثيل.

إذا فحصنا كلا الحدثين في ضوء النتائج النهائية، يمكننا أن نقرر مطمئنين أنه بعد أن شهدنا أمثلة عديدة من التاريخ، فإنه لا يوجد مبرر مقبول لأعمال وأنشطة العنف.

لقد حان الوقت لأولئك المنشغلين بأعمال العنف أن يهجروا هذا السبيل إلى الأبد. فلا يوجد من تجرع السم مرتين، وبالمثل فلا مبرر مقبول لكائن من كان أن يستمر في العنف وسيلة ومنهجا.

إن لعبة النار والدم لا يمكن تبريرها فقط بوصفها وسيلة لتحقيق العدل.. إن حقيقة أولئك الأفراد في نظر الناس ونظر اللّه هي كونهم مرتكبوا جرائم شنيعة قتلة مجرمون.

أولئك المتورطون في ثقافة السلاح باسم الدين لا حجة لهم في هذا العصر.. إنّ النتائج السلبية لثقافة العنف لديهم، يذكرها الإعلام المعاصر دون أن يذكراية نتائج إيجابية.. ولو سُئل أولئك المتهنون ثقافة العنف عن سبب إتباعهم لهذا المسار يكون جوابهم "لتحقيق العدل"، ولكن في الحقيقة لجوءهم إلى العنف هو أعظم شكل من أشكال الظلم... إن لعبة النار والدم لا يمكن تبريرها بوصفها وسيلة لتحقيق العدل، إنّ حقيقة هؤلاء الأفراد في نظر اللّه ونظر الخلق أنهم مرتكبوا جرائم شنيعة قتلة مجرمون.

المتورطون في العنف في هذا العصر من الصواب وصفهم بأنهم أرهابيون، وكل من قُتل في مؤسسات العنف هم أُناس أبرياء... إنهم عباد خلقهم اللّه للقيام بدورهم في الحياة، وأعمال الإرهابيين نقيض لخطة اللّه منعتهم من تأدية دورهم الذي خلقهم اللّه لأجله.. هذا العمل من قبل الإرهابيين لا شك أنه من أبشع الجرائم، ومرتكبو هذه الجرائم ليسوا جديرين بعفو اللّه ومغفرته.

دراسة التاريخ تبين أن التاريخ البشري مليء بالحروب، وفي كل الحالات قادت الحرب إلى خسارة في الأرواح ودمار في الممتلكات.

يمكن القول إن الأولين الذين خاضوا حروبا معذورون، لأنه لا علم لهم ولا دراية بسوء عاقبة الحرب، ولكن أولئك الذين يواصلون على هذا الدرب بعد إدراكهم وعلمهم بالنتائج السلبية للحرب لا يمكن إسقاط الذنب عنهم.

صارت الحرب في مفهوم العصر الحديث أمرا فاقد الأهمية، وأصبح هذا العصرعصر الفرص، حيث تضاعف حجم الفرص

المتاحة إلى درجة أن كل ما يريد المرء تحقيقه اليوم يمكن تحقيقه بنهج سبل السلام.

سيكون من الصواب القول إنه في هذه الظروف المعاصرة أن الحرب والعنف ليسا خيارا. إنّ الأمر الذي استحال تحقيقه في الماضي بالمواجهة يمكن تحقيقه بنجاح في هذا العصر باستغلال الوسائل السلمية لا غير.

إتباع الطرق السلمية اليوم، مثله كمثل أن تترك الشجرة لتنمو، بينما اختيار وسيلة العنف فهو اجتثاث للشجرة من جذورها.

إنّ مهمتنا هي أن نغرس الشجرة لا أن نقطعها، هذا من المسلمات التي تنطبق على عالم النبات ولكنها أيضا تنطبق بطريقة مباشرة على المجتمعات البشرية.

■ **تنبؤ ثبت صدقه**

الحرب العراقية مواجهة مسلحة بدأت بغزو العراق سنة 2003 بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية خلال حكم الرئيس جورج بوش الأول.. تم التخطيط لهذه الحرب على مستوى عالمي على يد الولايات المتحدة الأمريكية، و كان قادة أمريكا كلهم أمل و ثقة في نتائج هذه الإستراتيجية، ولكنني كان لدي شكوك كبيرة فيما يتعلق بهذه الحرب، و صرحت مناقضا النتائج المحتملة والمتفائلة في مقابلة صحفية مع «الديلي لونج» قبل البداية الفعلية للحرب ... صدرت هذه المقابلة تحت عنوان: (العدوان الأمريكي سيؤدي إلى نتائج عكسية) [1].

ولقد صرحت بهذا القول ليس بناءاً على معرفة غريبة غامضة، ولكن بناء على شهادة التاريخ.. إنها حقيقة، أنه على مر العصور لم

يحدث أن الأهداف المرغوبة أمكن الوصول إليها من خلال الأعمال العسكرية، وهذا ما حدث فعلا في الحروب التي خاضها الإسكندر الأعظم (324_356) قبل الميلاد وأدولف هتلر (1945 - 1889)، وينطبق هذا بالمثل على جميع مسعري الحرب في هذا العصر.

لقد تبين أن الخاسر ليس المهزوم فقط، لكن المنتصر لا يحقق إلا ما يعرف بنصر (بريموس) وهو ذلك النصر الذي تكون فيه خسائر المنتصر مساوية أو أعظم من خسائر المهزوم.. مصطلح نصر بريموس تعود تسميته إلى ملك ليون (272_318) الذي جنى فيه جيشه خسائر بشرية فادحة في حربه وهزيمته للرومان في «HERACLEA" سنة 280 قبل الميلاد و ASCULUM" "سنة 279 قبل الميلاد خلال حرب بريموس.

التاريخ يعيد نفسه في القرن العشرين.. في الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا العظمى أحد أكبر المشاركين. عندما بدأت الحرب كانت الأمبراطورية البريطانية مترامية الأطراف كما عبرت عنها الصحيفة الأسكتلندية كالدونيان مركوي بتصديرها "الأمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس" [2] ولكن مع نهاية الحرب العالمية الثانية تضاءلت القوى العسكرية لبريطانيا العظمى، وبسبب عجزها عن سيطرتها على تلك الأمبراطورية لم يعد لها خيارا إلا أن تتنازل عن مستعمراتها بما فيها الهند التي أعلن أستقلالها على يد نائب الملك البريطاني اللورد ماونتباتن سنة 15 أغسطس 1947.

**إن مثل الحرب كنبتة ذات أشواك، لا تنتج إلا الأشواك، والذي ينتظر الورود من شجرة الأشواك يعيش في جنة الأغبياء.**

إن أعظم مساوئ الحرب هو أن نتائجها لا يمكن التنبؤ بها، ولا يوجد في التاريخ حرب نشبت وكانت نتائجها كما كان متوقع لها...، الحرب لعبة لا يمكن التنبؤ بنتائجها ولا تجلب إلا الدمار.. الحرب كالقفر في الظلمات، بينما قضية السلام تختلف تماما، ذلك أن التخطيط السلمي يؤدي بالضرورة إلى تحقيق النتائج المرجوة..

إن مثل الحرب كمثل نبتة ذات أشواك لا تنتج إلا الأشواك، والذي ينتظر الورود من شجرة الأشواك يعيش في جنة زائفة، بينما السلام كنبتة مثمرة تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها.

إذا أثبت نهج الحرب فعاليته في إلحاق الضرر في الأزمنة السابقة، فغن اختراع أسلحة الدمار الشامل في النصف الثاني للقرن العشرين أبطل خيار الحرب كوسيلة لتحقيق الأهداف، وصار الخيار الوحيد في عصرنا هذا أمام الأفراد والجماعات هو خيار الكفاح السلمي، أما صراع العنف فلم يعد قابلا للتطبيق حتى لأصحاب القوى العظمى..

فإذا دخلت جماعات أو أفراد حربا في القرن الواحد والعشرين فهم يبرهنون إما على جهلهم بالواقع وحقائق العصر، أو أنهم - وبسبب إعتقاد باطل - ألقوا بأهدافهم إلى هاوية الإنتحار..

من ناحية، بسبب التطور التقني فأن الحرب في العصر الحديث لم تعد خيارا مقبولا لكائن من كان ومن ناحية أخرى فأن التطور التقني فتح باب الفرص خارج ساحة القتال من الممكن ان تجعل الفرد ناجحا بصورة كبيرة فقط بالسير في درب السلام.

هذا التغير التاريخي يجب أن ينير عقول الذين تورطوا في الأنشطة الإرهابية، ذلك أن التجربة أثبتت إلى يومنا هذا أن أعمالهم لم تحقق

لهم أي شيء إيجابي... قضيتهم هذه ليست استثناء... وسيكون هذا مستقبلهم أيضا .. إذا ما أصر المتطرفون المغالون على الإرهاب وسيلة ومذهبا فمصيرهم حتما إلى المزيد من الفشل والخسران.

على الإرهابيين إدراك أن تسمية السيف ورد› لن يجعل من السيف وردا حقيقةً، وبالمثل فإذا ما صوّر المتطرفون أعمالهم كونها وسيلة لتحقيق أهداف جميلة ونبيلة، فذلك ليس بكاف ليحول دون فشلهم وخسارتهم.

عليهم أن يضعوا نهاية للعنف دون أي تأخير وعليهم العودة إلى نهج ومذهب السلام.

■ **حرب لا تنتهي**

الحرب في حد ذاتها عمل - عندما تبدأ - فلن تنتهي، وإذا ما انتهت الحرب في ساحة القتال تحل محلها الحرب الباردة.

هناك طرفان في الحرب، أحدهما منتصر والأخر مهزوم، ولكن هذا لا يضع نهاية للحرب لأن المنتصر ستتملكه مشاعر القوة والغرور وتتملكه الرغبة في الحصول على المزيد من الانتصارات، وهذا النوع من التفكير يمد في عمرالحرب لتجلب المزيد من الدمار.

أما بالنسبة للمهزوم فإن سيكولوجية الهزيمة تجعل الفرد غير مستعد لقبولها، وفي نفس الوقت لا يرغب في تلقي هزائم أخرى.. إن عدم قدرته على الثأر لهزيمته يعد هزيمة ثانية في ذاتها، ولهذا السبب فإن المهزوم لا يقبل الهزيمة أبدا، وتملكه الرغبة في الثأر لهزيمته أيا كانت النتائج.

لكن من أجل حياة طيبة وسليمة، يجب أن يوضع حدا لحالة الحرب،

ولكن التاريخ يخبرنا أن إرادة إنهاء الحرب لا توجد عند المنتصر ولا عند المنهزم، هذه المهمة يجب أن تتم على يد طرف ثالث، وبتدخل الطرف الثالث سيكون هناك دائما أحتمالية وضع نهاية للحرب.

نجد مثالا على ذلك في فترة قرب نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945 عندما ألقت أمريكا قنابلها الذرية على مدن اليابان هيروشيما ونكازاكي.. شعرت اليابان بحاجة قوية للإنتقام بالمثل ضد هذه الجريمة الأعظم شناعة ضد الأمة اليابانية وكانت في طريقها لتعليم أمريكا درسا قاسيا.

في تلك الفترة العصيبة من الزمن بدأ بعض الصحافيين - ذوي حكمة - حملة إعلامية في اليابان، فكتبوا مقالات قوية وأصدروا بعض الكتب لتهدئة اليابانيين مفادها أن أمريكا ألقت قنابلها على مدن اليابان 1945 واليابان أيضا دمرت فيما سبق القاعدة البحرية الأمريكية بيرل هاربر (Pearl Harbor) سنة 1941 وبهذا تساويا... كما أنهم استحثوا أبناء اليابان على نبذ طريق الإنتقام، وأن يكافحوا بدلا من ذلك لبناء الأمة اليابانية من جديد .... استجاب اليابانيون لهذا النداء الحكيم ونبذوا رغبتهم في الإنتقام، بل وفتحوا أبواب التعاون مع أمريكا، وكانت النتيجة بادية للعيان.. ظهرت اليابان للعالم كأعظم الدول تطورا ورقيا برغم الدمار الذي لحق بها في تلك الحرب العالمية الثانية... نفس الوضع لا زال قائما بين الباكستان والهند.. تأسست الباكستان سنة 1947، ومنذ ذلك الزمن بدأت العداوة بين البلدين ولم تخمد إلى يومنا هذا ... في سنة 1971 دعم وساند جيش الهند حركة الإستقلال لبنغلاديش تحت قيادة الشيخ مجيب الرحمن (1920_1975)، و نتيجة لذلك

تجزأت باكستان. و كتب في هذا الصدد العديد من الكتب أشهرها (أنفصال بعد أنفصال وتقطيع أوصال الباكستان)... زاد هذا الحدث من غضب الباكستانيين في فترة الإنحطاط تلك، وكان المطلوب هو أن يتقدم بعض المفكرين ذوي الحكمة ويرتقوا إلى مستوى الحدث ويكافحوا بجهدهم لتهدئة مواطني باكستان، وكان عليهم إقناع الباكستانيين أنهم كانوا أداةً لتقسيم للهند سنة 1947 واليوم ساعدت الهند في تقسيم باكستان سنة 1971 و بهذا تساويا، وأنه قد آن الأوان لنسيان الماضي ولبدء مرحلة بناء الأمة الباكستانية وتوجيهها إلى وجهة إيجابية تعود بالنفع والفائدة .

لم يكن المفكرون الباكستانيون في مستوى الحدث، ونتيجة لذلك زادت مشاعر الكراهية عند الباكستانيين، ولهذا السبب انخرطت باكستان في العديد من الأعمال والأنشطة ذات الطابع السلبي ضد الهند ونتيجة لانشغال باكستان بهذه الأنشطة العسكرية ضد الهند تحولت باكستان الى دولة فاشلة.

تحدث الحروب بين الأمم عادة، وفي تلك الفترة من الزمن ليس بمقدور الطرفين المتحاربين تحويل التفكير السلبي إلى فكر إيجابي، وليس بوسعهم نبذ طريق العنف وتبني طريقً السلام.. المطلوب في هذه الحال، هو أن يعمل طرف ثالث محايد على تهدئة نار العداوة والكراهية ومحاولة خلق تفكير إيجابي عند الأطراف المتنازعة.. إذا وجد طرف ثالث قادر على أن يقوم بهذا الدور، يصير ممكنا توجيه الأطراف المتنازعة إلى طريق السلام... إذا لم تحدث مثل هذه المبادرة ستستمر أعمال العنف بلا توقف ودائرة العنف لن تنتهي حتى يدمر الطرفان تدميرا تاما وهي ليست الكيفية المثالية لإنهاء العدوان.

**■ مشكلة إدارة الأزمات**

واجهت كل من الصين ومصر نفس الأزمة السياسية، ولكن ردود أفعالهم والنتائج التي ترتبت عليها كانت مختلفة.

نجحت الصين في إدارة الأزمة بينما أخفقت مصر ودفعت نتيجة لإخفاقها ثمنا باهظا.

هونج كونج جزيرة على سواحل الصين إستأجرتها بريطانيا من الصين لمدة 99 سنة وفقا لبنود المعاهدة التي أبرمت سنة 1898. أرادت الصين استعادة هونج كونج و لكنها لم تتخذ أية إجراءات أحادية الجانب، بل خاضت مناقشات سلام مع بريطانيا، و بعد نهاية ال 99 عام ووفقا لبنود المعاهدة المبرمة أعادت بريطانيا هونج كونج إلى سيادة الصين في 1 يوليو 1997م.. هكذا انتهت الأزمة بسلام.

قضية قناة السويس تختلف كل الاختلاف.. أنشئت شركة قناة السويس سنة 1858 لغرض بناء وتشغيل القناة وقد تم إبرام عقد إيجار الأرض لمدة 99 سنة بداية من فتح و تشغيل القناة سنة 1869 .. بعد انقلاب 1952 على الملك فاروق تزعم جمال عبد الناصر رئاسة مصر من سنة 1956 إلى سنة 1970 ولم يمض زمن حتى أعلن عبد الناصر تأميم القناة 26 يوليو 1956 على الرغم من صلاحية عقد الإيجار لمدة 12 عاما قادمة. فجّر هذا الحدث أزمة السويس، وردا على ذلك تحالفت قوات بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على غزو مصر وهزمت القوات العسكرية المصرية، ثم تلا ذلك حرب الأيام الستة سنة 1967، شنت خلالها إسرائيل هجوما جويا هائلا دمر القدرات العسكرية الجوية لجمهورية مصر العربية.

مع التفوق الجوي استطاعت اسرائيل أن تسيطر على شبه جزيرة سيناء في ثلاثة أيام، ثم احتلت مدينة القدس القديمة وهضبة الجولان الإستراتيجية على الحدود السورية.

واجهت الصين ومصر مشكلة إجارة الأرض إلى دولة أخرى ذات سيادة، ونجحت الصين في إدارة الأزمة بحكمة، بينما لم تفلح مصر. ونتيجة لذلك الإخفاق استولت اسرائيل على مناطق فلسطينية شاسعة لم تكن تحت سيطرتها قبل التأميم. اختارت مصر استراتيجية المواجهة والعنف وفشلت في مسعاها بينما اختارت الصين استراتيجية السلام فحققت النصر المنشود.

الحياة مليئة بالأزمات سواء على مستوى الأفراد أو الأمم، ومن يفقه فن إدارة الأزمات فمصيره إلى النجاح ومن جهل هذا الفن فمصيره إلى الفشل والخسران.

نتائج الإدارة الناجحة هو السلام، والفشل في إدارة الأزمات يقود حتما إلى الحروب والعنف.

كل الحروب السابقة تعبير ومثال للفشل في إدارة الأزمات، وفي المقابل كل أوضاع السلام القائمة ماهي إلا نتيجة لنجاح إدارة الأزمات بين الأطراف المتنازعة.

الحياة بسلام تتطلب من كل المعنيين تعلم فن إدارة الأزمات. وفي هذا الصدد لا يوجد بديل ناجح سواء على مستوى الأفراد أو الأمم... إدارة الأزمات تتطلب الصبر والتخطيط بحكمة، ومن يمتلك هذه الخصائص سيكون قادرا على إدارة الأزمة مهما تعاظمت أخطارها.. عندما

يتعامل الفرد مع الأزمة سيدفع ثمن خسارة بعض الحقوق خلال تلك العملية، ولكنها خسارة وقتية وذات طابع أقل أهمية.. إن الإستقرار والعودة إلى الحياة الطبيعية الناتج عن الإدارة الناجحة للأزمة سيجعل من الممكن استعادة ما خسره بل وربما أكثر مما كان في حوزته مسبقا.

إن الأمة التي تمارس العنف تبرهن بكل وضوح على عدم قدرتها على إدارة الأزمات. الأمم - في الأحوال المماثلة - في حاجة إلى مراجعة أولوياتها ثم الكفاح وبذل الجهد لاستحداث الوسائل اللازمة لإدارة ومعالجة الأزمة، وإذا ما استمرت في أعمال العنف فإنها ستزيد من حجم الخسارة ليس إلا.

العنف كدخول مستنقع، الأفضل هو الخروج منه في أسرع وقت.. ومثال على ذلك حرب فيتنام (1975 - 1955) التي تورطت فيها الولايات المتحده الأمريكية لمدة عشرون عاما، وفي نهايتها أدركت أن أعمالها لا تحقق النتائج المرجوة، فقررت من طرف واحد الخروج من ساحة المعركة... قرار الولايات المتحدة الأمريكية مثال جيد للمثل المعروف (أن تصل متأخرا أفضل من ألا تصل أبدا).

الفشل في إدارة الأزمات يقود إلى العنف والحرب، وبالمقارنة فالنجاح يؤدي لامحالة إلى السلام.. إدارة الأزمات تتطلب الصبر، ومن يصبر في أوقات الأزمات سيعمل عقله بطريقة طبيعية وسريعا يصل إلى حل وسلام، وعلى النقيض من ذلك، إذا فقد الفرد رباطة جأشه فلن يعمل عقله وتفكيره بالكفاءة المطلوبه مما سيقوده ويدفعه إلى طريق المواجهة.

■ **الحفاظ على الوضع الراهن**

المبدأ الأساسي والوحيد الذي يمكن أن يبنى عليه سلام في المجتمع هو ضرورة الحفاظ على الوضع الراهن أو السائد، وإذا ما حاول الإنسان تغيير الوضع فإنه وبكل تأكيد سيطلق العنان لأعمال العنف، وعلى العكس من ذلك، فإن القبول بالوضع الراهن سيجلب السلام إلى المجتمع .

تعتبر الكعبة المشرفة أقدس مكان لدى المسلمين – بنى النبي إبراهيم عليه السلام الكعبة في مكة المكرمة في الألفية الثانية قبل الميلاد لقرون عديدة قبل بعثة نبي الإسلام محمد عليه السلام.. للكعبة اليوم شكل مكعب، شيد على قاعدة مربعة الشكل، ولكن بناء الكعبة بداية على عهد النبي ابراهيم كانت بناءا مكعبا شيد على قاعدة مستطيلة الشكل، واستمرت على هذا النحو إلى أن أعاد أهل مكة بناء الكعبة عقب الطوفان الذي ألحق أضرارا جسيمة فجعلوا لها قاعدة مربعة الشكل..

إن رسالة نبي الاسلام عليه السلام كانت إحياء لسنة النبى إبراهيم، ولكنه لم يحاول إعادة بناء الكعبة لتعود إلى الهيئة التي كانت عليها على عهد إبراهيم عليه السلام، بل تركها على هيئتها المتقطعة، والسبب في ذلك كما ورد في صحيح البخاري خشية النبي أن يؤدي ذلك إلى خلاف ونزاع مع أهل مكة، الأمر الذي قد يعيق دعوة النبي المسالمة إلى دين الإسلام [1] .

لهذا السبب ترك النبي الكعبة كما وجدها ولم يبذل أية جهود في محاولة إعادة بنائها .

سنة النبي ومنهجه هذا، ترك لنا مبدأ غاية في الأهمية ألا وهو ألاّ نحاول أبدا تغيير الوضع الراهن التاريخي، لأن محاولة تغيير الوضع المتعارف عليه لعهود طويلة الأمد سيقود حتما إلى نتائج وخيمة قد تصل في ذروتها إلى انتشار أعمال العنف، ونجد في تاريخ المسلمين أمثلة عديدة تبرهن على حقيقه وجود هذا المبدأ:

خضعت فلسطين قبل تقسيمها لنضام الانتداب للدولي الذي جاء في شكل لجنة قانونية مارست مهامها من العام 1923 حتى العام 1948. شكل الانتداب ادارة بريطانية للاراضي الفلسطينية التي كانت في السابق جزء من الامبراطورية العثمانية. اكدت سلطة الانتداب على التزام بريطانيا بوعد بلفور1917 الذي نص على انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وفي العام 1947 قدمت الامم المتحدة خطة لتقسيم فلسطين واوصت فيها بقيام دولتين مستقلتين لكل من العرب واليهود ونضام دولي خاص لادارة مدينة القدس.

رفض القادة العرب مثل حسن البنا وسيد قطب وجمال عبد الناصر مقترح التقسيم وعملوا جهدهم لإعادة توحيد فلسطين تحت حكم العرب، ولكنهم أخفقوا في ذلك الجهاد الفلسطيني العربي، وعلى الرغم من بذل كافة التضحيات، أدى ذلك التوجه إلى نتائج عكسية، وهو الأمر الذي فوت العديد من فرص البناء، وجلب المزيد من الخسائر.

الوضع الراهن لا يمكن أن يكون وليد اللحظة، ولكنه يظهر نتيجة تلاقي عوامل متعددة خلال فترة زمنية طويلة. والذين يرغبون في

تغيير الوضع الراهن ليس بمقدورهم إعادة انتاج العوامل الملائمة لإحداث التغيير ... تلك العوامل المطلوبة تظهرإلى الوجود من خلال عملية تاريخية طويلة الأمد، ولا يمكن أن تظهر إلى الوجود فقط بممارسة الأنشطة السياسية وأعمال الشغب...

السلام حالة إيجابية لا تظهر للوجود إلا بالتخطيط الإيجابي، وذلك يتطلب جهوداً عظيمة ومتواصلة، تقوم على التفكير العميق والحكمة..

هذه حقيقة تاريخية، وقبول الحقائق التاريخية من هذا المنطق سيساعد على قبول الوضع الراهن، وعدم قبول هذه الحقيقة سيقود إلى الرغبة في التغيير، الأمر الذي يستحيل حدوثه.

السلام وضع إيجابي لا يمكن أن يسود بدون تخطيط إيجابي مسبق، والحرب من جهة أخرى حالة سلبية لا يمكن أن تنشب إلا في غياب التخطيط الإيجابي..

الذين يرغبون في صنع السلام عليهم إدراك هذا المعنى، أو أن جهودهم ستذهب هباء منثورا.

إن محاوله تغيير الوضع الراهن ليس حربا ضد الأخرين من بني الإنسان، ولكنه حرب في مواجهة سنن وقوانين التاريخ، ولا يوجد فرد أو جماعة قوية بما يكفي لتحارب التاريخ ... إن قبول الوضع الراهن هو قبول للتاريخ، ومحاولة التغيير هي بمثابة حرب على التاريخ ... في مثل هذه الظروف ليس للإنسان إلا خيار واحد، ألا وهو ضرورة القبول بالحقائق التاريخية، والتخطيط بسلام للعمل على استغلال الفرص المتاحة أفضل استغلال.

■ **دروس من التاريخ**

قوة السلام وفقا لسنة الخلق أعظم من قوة الحرب، ولقد ثبتت مصداقيه هذا المبدأ عبر التاريخ، وعلى الأخص خلال الحرب العالمية الثانية والتى خلفت لنا دروسا في غاية الأهمية ... شاركت اليابان في الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) بطموحات وتطلعات متماثلة، إذ كانت رغبة اليابان أن تصير الدولة رقم 1 في آسيا، بينما تطلعت ألمانيا أن تكون الدولة رقم 1 في أوروبا ... دامت الحرب العالمية الثانية 6 سنوات أرغمت فيها الدولتان على تكبد خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، ومع قرب نهاية الحرب تعرضت كلاهما لدمار واسع كبير ....

برز في نهاية الحرب قادة في اليابان وألمانيا، استطاعوا إنقاذ مواطنيهم من مغبة الوقوع في بيئة التفكير السلبي.. وخاطب امبراطور اليابان شعبه في 12 اغسطس 1945 متحدثاً عن هزيمة اليابان إنه وفقا لما يمليه الزمان والقدر عقدنا العزم على أن نمهد الطريق إلى السلام الأعظم لأجيالنا القادمة بتحمل مالا يمكن تحمله ومعاناة لا يمكن معاناتها [1]..

كان هدف رسالة امبراطور اليابان بناء مستقبل اليابان، وتحديد وجهة ومجالات العمل، ولم يتضمن مخطط اليابان بعد نهاية الحرب توجيه الأمة إلى الاستعداد للانتقام.

هذا التخطيط السلمي نجح نجاحا باهراً، ذلك أن اليابان بعد مرور ثلاثون سنة، تصدرت قائمة الأمم في آسيا وصارت الدولة رقم 1

سلك تاريخ ألمانيا الحديث وجهة مماثلة، ذلك أن المستشار الألماني

الأول (1963 - 1949) كونراد هيرمان جوزف ادناور (1976 - 1967) قاد ألمانيا من دمار الحرب إلى دولة تنعم بالرخاء والازدهار... وكرجل دولة ضليع على رأس قائمة القيادات الفكرية الألمانية خطط ادناور لمستقبل ألمانيا في إطار سلمي نقيض لسلفه المعيب السمعة أدولف هتلر الذي قاد ألمانيا بعدوانية إلى ويلات الحرب والهزيمة والدمار.

منهج وأسلوب ادناور إنتشل ألمانيا رويدا من الدمار وجعل منها الدولة رقم 1 في أوروبا.. هذه التجربة في القرن العشرين يجب أن تفتح أعين وتستثيرعقول أولئك الذين ينتهجون العنف، ويؤمنون أنهم سيتمكنون من تحقيق أهدافهم بالحرب والقتال.

التاريخ الإسلامي أيضا ملىء بخبرات وتجارب مماثلة ... فقد هاجمت جيوش التتار والمغول في القرن الثالث عشر ميلادي الخلافة العباسية محطمة كل شيء مرت عليه من سمرقند إلى حلب.

خاض المسلمون عدة معارك في نهايتها هزمت جيوش المسلمين وتم إخضاع الخلافة إلى حكم وسيطرة المغول... ذهب كل القتال فى مهب الرياح وتحطمت معنويات المسلمين وتفشى بينهم معنى "لا تصدق اذا قال أحدهم أن المغول هزموا" [2]

حدث تغيير بعد أن أجبر المسلمون على ترك العنف والقتال وتحولهم إلى الأعمال ذات الطابع السلمى.. ذكر المستشرق البريطانى T.W Arnold (1864 - 1930) فى كتابه "الدعوة الى الاسلام" أن العملية السلمية ترتب عليها دخول السواد الأعظم من المغول إلى دين الاسلام. [3]

وهكذا فإن التحديات التى لم تقهر بالسيف قهرت بالسلام..

تعقيبا على هذه الحادثة قال المفكر اللبناني الأمريكي فيليب حتى (1978 - 1986) انتصر دين المسلمين حيث أخفقت سيوفهم..[4]

هذا التاريخ الإسلامي يبعث برسالة في غاية الأهمية مفادها أن المسلمين فشلوا في تحقيق أهدافهم عن طريق العنف، وأنه قد أن الأوان من جديد ليهجروا كل أنواع العنف وأن يعملوا جهدهم لتحقيق أهدافهم بالوسائل السلمية.

- تقوم الحرب على الاستخدام العدواني للسلاح ولا تكون الا مصدراً للدمار، ولا يمكن لها أن تحقق شيئا بنّاء وإيجابياً، وعلى العكس من ذلك فإن السلام القائم على التعليم والتخطيط الإيجابي سيقود حتماً غلى التقدم والتطور، والتاريخ البشري بأكمله شاهد على صدق هذا المعنى.
- تمارس الحروب تحت تأثير التفكير السلبي، وتكون نتائجها دائما سلبية، بينما التخطيط السلمي يمارس وينضبط تحت تأثير التفكير الإيجابي ولهذا السبب ثبت – دائماً وبدون أدني شك – نجاح الوسائل السلمية ومنهج السلام.
- إن دراسه التاريخ الموضوعية تقدم لنا درسا ثمينا مفاده أنه على مر العصور لم يتمكن كائن من كان من تحقيق نتائج إيجابية من خلال الحرب، وعلى مر الأزمنة والعصور لم يتمكن كائن من كان من تحقيق نتائج سلبية بتبني منهج ومبدأ السلام ...
- إن التاريخ سجل لخبرات البشر وتجاربهم إيجابية كانت أم سلبية.. وهو يتضمن رسالة أنه يجب ألا نعيد تكرار التجارب السلبية بل يجب أن نعيد فقط تلك التجارب التي أدت إلى

نتائج إيجابية ... كما أن تاريخ البشرية مدون في طيات الكتب المتوفرة حول العالم، وقبل الهرولة إلى ساحة القتال فإنه أجدر بالمقاتلين أن يرتادوا المكاتب بغية الهداية، وبعد الدراسة المتعمقة لسجلات التاريخ التي توضح الجوانب الإيجابية والسلبية على إمتداد التاريخ، يمكن لأولئك الناشطين التخطيط لأعمالهم المستقبلية.

إذا تأملت الحدائق الغناء والجبال والبحار وتلألؤ النجوم سترى السلام والسكينة تعم أرجاء الكون ... إنها فقط حياة البشر موبوءة بالعنف والقتال، وكأن وجود الانسان يتناقض مع سائر الموجودات في هذا الكون ... لو أمكن لأولئك المنخرطين في الأعمال العسكرية رؤية هذا التناقض لأمتلأوا خجلا وتركوا سبيل العنف وتبنوا ثقافة وسبل السلام.

## الباب الخامس

# الحاجة إلى أيديولوجية في مواجهة أيديولوجية العنف

# الحاجة الى أيديولوجية في مواجهة أيديولوجية العنف

■ **قضية المسلمين المعاصرين**

يقال إن المسلمين في كافة أنحاء الأرض متورطون في أعمال العنف.. البعض متورط في أعمال العنف «السلبي» والبعض الأخر متورط في أعمال العنف «الفاعل «.. إن مجرد التفكير بطريقة متطرفة يمكن أن نصفه بالعنف السلبي، بينما ثقافة حمل السلاح يمكن أن نصفها بالعنف الفاعل.. هذة الظاهرة ترتبط ولها علاقة بالمسلمين ولكن ليس لها علاقة بتعاليم الاسلام.

الحقيقة وفقا لمفهوم القرآن الكريم هي أن المسلمين هم الأشهاد على العالمين ﴿ وتكونوا شهداء على الناس ﴾ -البقرة 143)، وهي نفس المهمة التي وُكّل بها اليهود قبل الاسلام كما ورد في نص الإنجيل (ولذلك فأنتم شهدائي قال الرب)[1] ... وردت هذة الحقيقة في القرآن في قوله تعالى:﴿ وإذ أخذ اللّه ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم وأشتروا به ثمنا قليلا﴾ ..آل عمران 187

كان اليهود أهل الكتاب وحملة الرسالة، ولكنهم في فترة متأخرة من تاريخهم نسوا كليةً وتخلصوا من مفهوم كونهم الأشهاد... إستبدل اليهود مفهوم «الأشهاد» بمفهوم «الخيرية» أو تزكية الذات، وحذا

المسلمون حذوهم، إذ أن تفكيرهم اليوم يقوم على ذات المصطلح، مصطلح الخيرية وتزكية الـذات.. إن الفكر الإسلامي الـذي ظهر مؤخراً يقوم على معنى الخيرية والذي يتلخص في معنى «نحن خلفاء الله في الأرض « .. لهذا الفكر نظر الأدب الإسلامي بكل قوة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.. هذا المفهوم أعيد إحياؤه بصورة أكبر في العصر الحديث على يد اثنان من المفكرين الإسلاميين: المصري سيد قطب (1966 - 1906) في العالم العربي، والباكستاني الأصل سيد أبو الأعلى المودودي (1979 - 1903) عند غير العرب.

هـذا الفكر الـذي شـاع وانتشر في القرن الحالي قـاد في نهاية الأمر إلى أعمال العنف تحت مسمى الجهاد «صاغ وتبنى المسلمون المعاصرون المحاربون مفهوما خاصا بهم لمعنى وغاية الجهاد الا وهو إقامة حكم الله في الأرض، وأختاروا لقتالهم العسكري الدينى مبرراً بأن سموه بمسمى الجهاد» الجهاد لفظا هو بذل الوسع، والمعنى الحقيقي لهذه الكلمة هو الكفاح السلمي لتبليغ رسالة الله إلى العالمين... صاغ المسلمون المعاصرون المحاربون مفهوما خاصا بهم لمعنى وغاية الجهاد ألا وهو إقامة حكم الله في الأرض، وأختاروا لقتالهم الديني مبررا بـأن سموه بمسمى الجـهـاد، ولهذا السبب وجد قبولا عند الكثير من الناس ... لقد صور أصحاب هذا الفكر ومناصريه أعمالهم بكونها قتال مبرر وله أصل... وللقيام بهذه المهمة أضفوا بطريقتهم الخاصة صفة الشرعية على كل أنواع العنف إلى درجة أنهم أحلوا العمليات الإنتحارية....

- السؤال اليوم هو كيف يمكن مواجهة هذه التشدد؟

• الجواب يتطلب وجود أيديولوجية معاكسة ...الجهاديون زعموا أن قتالهم عمل مشروع مستدلين بتأويل خاطئ للنص الديني، وعلينا اليوم أن ننزع عنهم مشروعية أعمالهم باستبدال التأويل الخاطئ للنص لديهم بالتفسير الصحيح ... هذه هي الإستراتيجية الوحيدة التي يمكن أن تلقى نجاحا .... الانسان حيوان مفكر يقبل الأشياء عند مخاطبة عقله بطريقة مناسبة والجهاديون ليسوا استثناء ...

أود أن أسرد قصة تدور حول هذا المعنى.. عند زيارتي لفلسطين قابلت بعض الأطفال العرب ينشدون «هلم نقاتل هلم نقاتل هلم نقاتل، فإن القتال سبيل الرشاد» فقلت إن الأجدر أن ننشد «هلم نسالم هلم نسالم فإن السلام سبيل الرشاد»

أعجب الأطفال بالمقترح، وأبدوا موافقتهم ثم استطردوا قائلين: نحن محاطون بالأعداء وإذا إخترنا السلام فما الذي سيحدث؟ ... أوضحت قائلا: لقد اخطأتم بإعتباركم الآخرين أعداء، فهم ليسوا أعداءكم، بل هم المدعوون بالنسبة لكم، والدين أوجب أن تصلهم رسالة اللّٰه.

وفقا للقرآن الكريم (85:3) فالمسلمون «شاهد» وغيرهم من بني الإنسان «مشهود». واجبنا هو تبليغ رسالة اللّٰه للعالمين، ثم أشرت لحقيقة أن وسائل العنف لم تحقق لهم أية نتائج، ولكنهم إذا انشغلوا بعمل الدعوة السلمية، فإن اللّٰه وعدنا بكافة أنواع النصر والعون ﴿ ولينصرن اللّٰه من ينصره إن اللّٰه قوي عزيز﴾ **الحج** 40

عبّر الأطفال العرب عن فرحتهم بما قلت، وقدّم أحدهم غصن زيتون من شجيرة بالجوار رمزاً للسلام.

إذا اخذنا بعين الإعتبار الطبيعة البشرية فإنه يمكن القول إن هذه التجربة قابله للتطبيق على كل المسلمين في كافة أنحاء العالم.

**● الحاجة الى قنبلة أدبية «فكرية»**

ولد MILOVN DJILAS (1911 - 1995) في يوغسلافيا وتأثر في مرحلة الشباب بالشيوعية، وأصبح عضواً ناشطاً في الحزب الشيوعي، ثم نائباً للرئيس اليوغسلافي، ولكنه مع رؤية النتائج العملية للشيوعية تحول إلى أكبر النقّاد للنظام الشيوعي .

نشر كتابا له سنة 1975 بعنوان (الطبقة الجديدة: **دراسة تحليلية للنظام الشيوعي**) برهن فيه على أن الشيوعية في الاتحاد السوفياتي وشرق أوروبا لا تقوم على المساواة وإنما هي نظام أنشأ طبقة جديدة من البيروقراطيين تتمتع بمزايا ومنافع مادية لمجرد انتمائهم ولمكانتهم الحزبية... نجح هذا الكتاب نجاحاً باهراً وترجم إلى ما يقارب من أربعين لغة.

كُتبت إستعراضات لهذا الكتاب في كافة أرجاء العالم ونشرته مجلة Reader›s Digest تحت عنوان (**الكتاب الذي يهز العالم الشيوعي**).

لقد عارضت الولايات المتحدة الامريكية روسيا الشيوعية بكل قوّة، ولكنها بدلاً من أن تلقي بقنابلها الذرية فوق روسيا إخترعت حملة أدبية فكرية في مواجهة النظام الشيوعي.. ثم طباعة ونشرعدد غير يسير من الكتب بمختلف اللغات تنتقد في مضمونها عيوب أو أخطاء الفلسفة الشيوعية..... قامت هذه الحملة على تخطيط مدروس أدى في نهايته إلى إبراز تحد كبير للشيوعية على المستوى الأيدولوجي.

نجحت هذه الاستراتيجية نجاحاً باهراً، وفي سنة 1991 انهار الاتحاد السوفياتي بعد ستين سنة من قيامه.

هذا هو السبيل الصحيح لمواجهة الحركات الاسلامية الإرهابية المعاصرة... إن إستعمال القنابل الكيماوية أو الذرية ليس الطريق الأمثل لإستئصال جذور الإرهاب.... القضاء على الإرهاب يتطلب قنبلة أدبية فكرية تساعد الناس على تجنب الإرهاب ونبذه، وتستحث الإرهابيين على اتباع سبل السلام.

مواجهة الإرهاب في هذا العصر تتطلب طباعة كتاب قوي تحت عنوان (**الكتاب الذي يهز عالم الإرهاب**) [1]

اعتقد البعض أنّ صدام حسين في وقت من الأوقات راعي الإرهاب الأول، وأُدين بتهمة القتل وأُعدم في سنة 2006 وبعد صدام حسين أُعتبر أسامه بن لادن المسئول الأول ورأس حربة الإرهاب، ولكنه كذلك قتل في سنة 2011 في مخبئه بالباكستان.. أبو بكر البغدادي أُعتبر الإرهابي الأكثر رعباً والذي وجب القضاء عليه، ووفقاً للأخبار الإعلامية فإنه قُتل في هجوم جوي مباغت..

على الرغم من قتل هؤلاء القادة، فإن الإرهاب باسم الإسلام لازال مزدهراً، وهذا يظهر أنه يجب علينا أن نغير طريقتنا في مواجهة الإرهاب .... علينا أن نتبنى إستراتيجية غير إستراتيجية الرصاص والقنابل.

إعترف وفقاً للأخبار الإعلامية الرئيس باراك أوباما بتأريخ 10 يونيو 2015 - على الرغم من دعم القوات الأمريكية بعدد 450 مستشاراً عسكرياً إضافة إلى 3500 موجودون في العراق - اعترف بفشل إستراتيجية العنف في مواجهة تنظيم دولة العراق والشام. [2]

بالنظر إلى التجارب السابقة، علينا الآن أن نسلك طريقاً معاكساً

ونغير من طريقة تفكيرنا إذا أردنا أن نضع نهاية لشر الإرهاب...من المهم أن نأخذ العبر من التجارب والخبرات التاريخية، ولذلك يجب أن نستبدل القصف العسكري بالقصف الأدبي الفكري لأنها الطريقة الوحيدة والأمثل لتحقيق النجاح في هذا المجال.

يقوم الإرهاب المعاصر بأسم الإسلام على التأويل الخاطئ للنص الديني، ومثال هذا التأويل ما ورد في نص الآية « إن الحكم إلا للّه» (12:40 ).... في هذه الآية اُستعمل لفظ الحكم دلالة على الحكم الكوني، ولكن المفكرين المسلمين المتطرفين قالوا بالحكم السياسي، وإضافة إلى ذلك قيل أنه لكون المسلمين خلفاء اللّه في الأرض فإنه وجب عليهم إقامة الحكم الإلهي في الأرض.... هذا الافتراض خاطئ لأنه تأويل للأية القرآنية خارج سياق النص.

وآية أخرى وهي «اعدلوا»(يأأيها الذين أمنوا كونوا قوامين بالقسط ... أعدلوا هو أقرب للتقوى... المائدة 8) (في حياتكم)...

الآية تستحث المؤمن على ممارسة العدل في حياته، ولكن التأويل الخاطئ للآية قال بالفعل أو بالمعنى المتعدي بدلا من المعنى اللازم كما ورد في السياق القرآني... الفعل في الآية السابقة لا يتطلب وجود مفعول به ليكتمل المعنى، والتأويل الخاطئ استحدث مفعولاً به ألا وهو العالم بأجمعه...

الفعل في الآية لا يتطلب مفعولاً به، ولكن الخطأ في التأويل جعل لها مفعولاً به (object of active) ألا وهو العالم المعاصر، وهكذا صار معنى الآية أن العدل غاية وجب أن تفرض على الآخرين بالقوة.. وبسبب هذا التأويل الخاطئ صار للعدل بعداً سياسياً على الرغم

من أن هذا المعنى لا يمكن أن تجده في النص القرآني السابق الذكر.

إن أي تفسير للنص الديني من هذا النوع هو تفسير باطل، ويجب أن ينشر على أنه تفسير باطل حتى يعلم الناس أن الجهادية المعاصرة لا أصل لها في الاسلام، وحتى يترك المتطرفون هذه الأيدولوجية ويعلموا أن أفعالهم نقيض للإسلام وشرعته ومنهاجه.

ظاهرة الإرهاب تقوم على التأويل الخاطئ للنص الديني ويمكن استئصالها فقط بنشر التفسير الصحيح للنص الديني.

عبر رئيس وزراء بريطانيا ديفيد كاميرون بتاريخ يونيو 2015 في إحدي خطبه عن قلقه من سفر بعض الشباب إلى العراق وسوريا منضمين إلى تنظيم الدولة الإسلامية فقال " يجب علينا أن نطفئ بريق ونبطل سحر قضية وأهداف المتطرفين وخاصة تنظيم الدولة الإسلامية كونها ليست عملا رائدا وهي قسوة وشرٌ بغيض" [3]

إنها حقيقة أن المتطرفين المسلمين المعاصرين نتاج لسحر المفهوم «الخاص» لمعنى الخلافة، والحل الصحيح هو إبطال سحر وبريق هذه الأيدولوجية التي نمت وتطورت على يد المتطرفين بتأويل خاطئ للنصوص الدينية... وكذلك إبطال سحر هذه الأيدولوجية أوالمفهوم القائم على التأويل الخاطىء للنص القرآني بتجريده من مسمى الإسلام.

إن أحد أهداف هذا الكتاب هو تقديم الأدلة الصحيحة لنبين للناس أن التأويل السياسي للإسلام باطل وليس له أصل في الإسلام.

يجب التسليم بأن المفهوم المعاصر لمعنى الخلافة يقوم على تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً (**التفسير السياسي للإسلام**)

كانت الأمم المتحدة على صواب باختيارها للقول الشائع: -

**(ان الحرب تبدأ وتنطلق من عقول الرجال... وفي عقول الرجال يجب أن تشيد دفاعات السلام).**[4]

إذا أردنا أن نستأصل الإرهاب فعلينا أن نعيد بناء وهندسة عقول المتطرفين على مسار وخطى السلام، ولا يمكن أن تنجح أية استراتيجية أخري في تحقيق هذا الهدف.

■ **تجنيد الشباب للتطرف**

الجهادية الاسلامية المعاصرة ليس لها أصل في القرآن ولا في السنّة وما هي إلا نتاج لإعلام المسلمين — إعلام المسلمين - عن غير قصد منذ بدايته الى يومنا هذا - كان ولا يزال وسيلة وسبيلاً للغة الاحتاج والمعارضة - هذه الطبيعةلإعلام المسلمين كونت عقلية المسلمين المعاصرين.. التطرف، الجهادية والعمليات الإنتحارية ما هي إلا نتيجة لهذا الإعلام.

إنتشر الإعلام المطبوع في العالم الاسلامي خلال القرن الثامن عشر، وكان أول من قدم الصحف المطبوعة في مصر هو نابيليون بونابرت Napoleon Bonaparte (1821 - 1769) عقب إجتياح مصر سنة 1798 م.. أي أن الإعلام المطبوع ظهر في العالم العربي على يد القوى الاستعمارية، ولقد تزامن ظهور العلم في العالم الاسلامي مع زمن شهد فيه المسلمون إجتياح الاستعمار لبلاد المسلمين على نطاق واسع.

نقلت أخبارالصحف اليومية زحف القوى الإستعمارية على العالم الاسلامي، فعلى سبيل المثال حطم الأسطول الروسي سنة 1771

الأسطول العثماني في البحر الابيض المتوسط خلال الحرب التركية - الروسية (1768 - 74)، وقتل تيبوTipo سلطان Mysore في الهند وهو يقاتل الجيش البريطاني سنة 1799 وهزمت هزيمة ساحقة سنة 1857 السلالة الحاكمة المغولية على يد البريطانيين.

الحرب الإيطالية - التركية بين العثمانيين ومملكة إيطاليا أدت إلى احتلال تريبوليتانا سنة 1912 ... أدت هذه الأحداث إلى ردود أفعال في المجتمعات الإسلامية من القرن الثامن عشر حتى يومنا هذا، ونقلت هذه الأخبار في الإعلام بصورة مبالغ فيها .... بهذه الكيفية تحول إعلام المسلمين إلى إعلام معارض، ولقد استعمل مؤخرا الإعلام الإلكتروني المعاصر لنفس الغاية والهدف... هذا النوع من الإعلام صاغ طريقة تفكير المسلمين المعاصرين.

نوعية تفكير المسلمين المعاصرين لا تقوم على تعاليم الاسلام، بل تنبثق وتنشأ من إعلام المسلمين الذي يتحدث ويصوره باستمرار بلغة الاحتجاج والمعارضة.

هذا النمط الذي تبناه إعلام المسلمين أدى إلى سلبية المسلمين، وتحولت المجتمعات المسلمة إلى مجتمعات يملؤها الغضب، وتوجه جام غضبها إلى غيرها من المجتمعات. وعندما تبين فشل ثقافة حمل السلاح، ونتيجة للغضب المتزايد، لجأ البعض إلى العمليات الانتحارية لزعزعة أعدائهم المزعومين.

الجهادية المعاصرة لاتقوم على العقل، ولا على تعاليم الاسلام، وما هي إلا نتيجة لغضب وخيبة أمل والتفكير السلبي عند المجتمعات الاسلامية...

لقيد قيل أن أعظم الأخطار التي نواجهها اليوم، هو خطر تجنيد الشباب المسلم (Radicalization)، و السؤال ما هي مصادر التطرف الديني ؟ بكل تأكيد ليس القرآن ولا السنة النبوية بالمصدر الأيدولوجي لذلك التطرف. إن مصدرهذه الثقافة هو استخدام المسلمين للانترنت والسوشيال ميديا (social media) التي تعتبر امتدادا لإعلام المسلمين ومثلت لدى المسلمين مدخلاً سهلا كالانترنت و التي يتم استعمالها على نطاق واسع وهم بذلك ملؤوا مواقعهم على الانترنت بصور وتقارير زائفة و مضللة لتبين أن مجتمعات المسلمين في خطر...... هذه القدرة على التواصل التي تتميز بها السوشيال ميديا وصلت إلى كل مكان في عدة صور ومنها الهواتف النقالة التي دخلت كل الجيوب.

هذه المواقع وثقافة الانترنت ساهمت بشكل كبير في تطرف عقول الشباب المسلم، وحتى يتم إنقاذ الشباب المسلمين من هذه الثقافة السلبية يجب القيام بحملة إعلامية واسعة لإيقاظ الوعي بطريقة تمكن الشباب من فهم وتحليل المعلومات المعروضة في المواقع الإلكترونية، وتمكنهم من التمييز بين الحق والباطل، وهذا الكتاب هو محاولة لمساعدتهم في هذا المجال.

العنف لا يمكن إستئصاله بالعنف، لأن العنف بالمقابل سيزيد من غضب المسلمين، وتزايد الغضب هو الدافع وراء العمليات الإنتحارية.

كل المجتمعات الاسلامية تقريبا في هذا العصر تتحدث بلغة الاحتجاج والشكوى، وبسبب هذه الإشكالية الفكرية صار المسلمون أكثر تقبلاً للسلبية لا للايجابية .... تحت تأثير هذه الشاكلة الفكرية

يتعامل المسلمون مع الأخبارالإيجابية بشك وريبة.... أقصى ما يعلمه المسلمون هو أن الاخرين أعداء، وهم غير قادرين على رؤية الآخرين كونهم خلق الله ... كل ما يرونه هو الجانب السلبي للأحداث، ويعجزون عن رؤية الجانب الإيجابي لها.

لقد صاغ المسلمون المعاصرون مصطلحا جديدا ألا وهو (**الإسلاموفوبيا**) أو إرهاب الاسلام.

وهذا يعني أن الغرب أخطأ إذ يعتبر أن الاسلام خطر على غير المسلمين، والحقيقة مغايرة .... أعتقد أن هذا المصطلح سيكون ملائماً بتحوير بسيط ألا وهو أن المصطلح يجب أن يكون (**المسلم فوبيا**) أي ارهاب المسلمين وليس إرهاب الاسلام.....

لقد اعتنق المسلمون ثقافه العنف باسم الإسلام، ومن هذا المنطق يحق للغرب اعتبار المسلمين كونهم مصدر خطر، ولكن الإسلام في ذاته هو رحمة من الله للناس كافة... ولكن المسلمين المعاصرين بسبب تأويلاتهم الخاطئة لدينهم فسروا الإسلام على أنه دين العنف.

رهاب المسلمين (**المسلم فوبيا**) هو خطاب للمسلمين لا غير، وهو يخاطب المسلمين لهجر التأويل الباطل للإسلام والبعد عن ثقافة المسدس والقنابل حتى لا يسيء الآخرون فهم الإسلام، وليتمكن لهم فهم وإدراك رحمة الله التي أرسلها الله في دين الإسلام.

• والسؤال المطروح في هذا العصر اين هي نهاية النفق؟ على المصلحين في هذا العصر التركيز في دعوتهم على الشباب، ذلك أن الشباب في سنوات تكونهم الأولى متحررون إلى حد ما من الأنماط الفكرية السائدة، وهم بذلك قادرون على النظر بموضوعية، وقادرون

على المدارسة والاختيار بطريقة خالية من التعصب.. يجب أن تبدأ جهودنا بغرس جذور التفكير الإيجابي عند المسلمين في سن مبكرة.

الأجيال المسلمة الجديدة هي أملنا، وخاصة أولئك الذين يتسلحون بالعلم الحديث.. التعليم الحديث يساعد على تحرير العقول من الأنماط الفكرية السائدة.... وهم قادرون على رؤية العالم بطريقة أكثر موضوعية وتطوير قدراتهم لفهم الأشياء بطريقة واقعية ....... هؤلاء الشباب المسلمون هم أملنا في المستقبل.

■ **شرور الإعلام الموجه**

الصحافة المطبوعة والاتصالات الالكترونية ظهرت في العصر الحديث، والذي يوصف بعصر المعلوماتية، والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا جلب عصر الاتصالات معه عصر الكراهية؟ ... من الواضح والجلي ان الناس من كل الفرق تقريباً - عدا أصحاب العلم - لا يحملون سوى الكراهية لأحدهم تجاه الآخر، والسبب هو الأخبار المنتقاة على يد الكتاب وأهل الخطاب والوعاظ، والتي تعرض على عامة الناس. كل فرقة وفقاً لاهتماماتها الخاصة تبث اخباراً منتقاة لسبب ما أو لآخر، فتنتقل أخبارا أحادية الجانب عن غيرها من الفرق التي تعتبرها خصماً منازعاً.

ناشطو حقوق الانسان والمصلحون الاجتماعيون والقادة السياسون والصحفيون والكتاب المحترفون كلهم تقريباً يحدون هذا المسار....

ان التقاريرالأحادية الجانب من هذا النوع، تجعل فرقة أو جماعة ما غير متعاطفة أو متسامحة مع غيرها من الفرق والجماعات. وفي الظروف والأحوال العادية تبقى هذه المشاعر خامدة، ولكنها مع مرور

الزمن تشتعل عادةً لتأخذ شكل العنف والإرهاب.... الإرهاب المعاصر بكل تأكيد نتيجة لهذه الظاهرة.

في مهنة الأخبار المتحيزة - أحادية الجانب - تعتبر المجتمعات المسلمة هي الأكثر نشاطاً من غيرها من المجتمعات، وهناك مثالان توضيحيان لهذه النقطة ... المثال الأول هو كتاب العالم السوري الأصل عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني الذي ألف العديد من الكتب باللغة العربية تحت عنوان «سلسلة أعداء الإسلام (2000)»

عنوان أحد هذه الكتب هو (أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها) ويذكر في هذا الكتاب ثلاثة مسميات للمكر تعمل على تدمير الإسلام والمسلمين ألا وهي الاستشراق، التبشير والاستعمار.. هذا الوصم أو النوع من التصنيف لا مبرر له، لأن الموصوفين ليسوا بمتآمرين، ذلك ان نشاطاتهم تعكس وجهة نظرهم.

كل جماعة لها وجهة نظر خاصة بها، كما أن للمسلمين وجهة نظر خاصة بهم..... الوصم او التصنيف المذكورأعلاه هو نتاج لغياب الموضوعية عند معاينة تلك العوامل وتصنيفها بطريقة انتقائية.. إذا نظر الآخرون إلى نشاطات المسلمين بطريقة انتقائية سيخلصون إلى أن المسلمين متآمرين.

أظهرت التقارير على سبيل المثال أنّ الاسلام هو الدين الأكثر نمواً وانتشاراً في بريطانيا [1] ... إذا ما فسر هذا الأمر بصورة انتقائية متحيزة سيرى الآخرون في نشاط المسلمين مؤامرة ومكائد لأسلمة بريطانيا، ولكن إذا نظر الناس إلى نشاطات المسلمين في إطار أن الناس يتمتعون ويمارسون حرية الإختيار سيبدو الخبر كونه تحولاً طبيعياً.

لقد حدثت تغيرات تاريخية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين أبرزها الاستعمار الصهيوني والشيوعية والتوسع الأمريكي..... لقد افترض المسلمون خطأ أن هذه الاحداث ضداً للإسلام، وبسبب هذا الافتراض الخاطئ حارب المسلمون هذه القوة، ولتبرير أعمالهم نسبوها إلى الإسلام معلنين ان الاسلام في خطر ولكن هذا التصريح مجانب للصواب.

يجب على المسلمين عدم اعتبار هذه التغيرات كونها ضداً للإسلام، بل وجب النظر إليها كونها ظاهرة من الظواهر العادية... الفهم الخاطئ من قبل المسلمين أدّى إلى تفاقم المشاكل.

إذا ما تمتع المسلمون بحرية العمل، فعليهم السماح للآخرين بالقيام بأعمالهم وليتمتعوا بنفس القدر من الحرية... إذا ما وصف المسلمون الآخرون أنهم متآمرون فعليهم القبول بوصف الآخرين لهم أنهم متآمرين ... إذا كان للمسلمين بعض التحفظات فعليهم القيام بتحليل عقلاني لأفعال الآخرين وأقوالهم، ولكن ليس من حقهم وصف الآخرين بمسمّى المؤامرة لأنها لغة عدائية.

ليس من الممكن تغيير نزعة الكتّاب وأهل الخطاب ولكن من الممكن تعليم الناس ألا تستفزهم الأحداث والتقارير وعليهم تجاهلها حتى لا يتاثر تفكيرهم بها سلباً.

كان هذا مثالاً للإعلام المطبوع، ولنتأمل مثالاً آخر لحدث تداولته كلاً من الصحافة المطبوعة والإلكترونية...أستاذةٌ مسلمةٌ طاهرة أحمد من جامعة شيكاغو نورث ويست كانت على طائرة يونايتد ايرلاين في 30 مايو 2015 وفي خلال الرحلة طلبت قنينة مشروب

كوكاكولا مغلقة.... المضيف أو المضيفة الجوية اعتذرت بقولها انه ليس بوسعها إعطاءها قنينة مغلقة ولكن المسافر بالكرسي المجاور حصل على قنينة بيرة مغلقة..... قالت طاهرة إن المضيف علل عدم تلبية طلبها بأن المسافرين قد تستعمل القنينة سلاحاً أثناء الرحلة..... على صفحة الفيس بوك الخاصة بها نشرت طاهرة أحمد هذا الخبر «المضيف الجوي تعامل معي بعنصرية»

واستعملت الهاشتاج «الإسلامفوبيا حقيقة».. لجأ الناشطون الإسلاميون إلى السوشيال ميديا وتناولوا الحدث كونه تعصباً لا يغتفر ووجهوا دعوتهم لمقاطعة خطوط يونايتد اير لاينز بسبب التعصب والتمييز العنصري.[2]

هذا الحدث حدث تافه، ولكن تم تقديمه بهذه الصورة على الفيس بوك، فصار خبراً مثيراً عند الإعلام وتم تناقله على نطاق واسع... هذا النوع من الأخبار الذي نراه بشكل يومي ساعد على تنمية مشاعر الكراهية عند المسلمين لغيرهم عامة وللغرب خاصة.

هذا النوع من الأخبار الإنتقائية من أعظم مشاكل المسلمين في هذا العصر، ذلك أنها أدت إلى انتشار التفكير السلبي في كافة أرجاء العالم.

الكتاب والصحفيون المسلمون الذين عملوا على نشر مثل هذه الأخبار تحولوا إلى نمط في الكتابة يحتذى به وهم المسئولون عن الشاكلة الفكرية المعاصرة..

ليس من الممكن تغيير نزعة الكتّاب وأهل الخطاب أوميولاتهم، ولكن من الممكن تعليم الناس أن لاتستفزهم الأحداث والتقارير وعليهم تجاهلها حتى لا يتأثر تفكيرهم بها سلباً

الكل يتمتع بحرية في هذه الدنيا ولا يمكننا أن نمنع الآخرين من حرياتهم، ولكننا نتمتع بالحكمة، فيجب ألا نصوغ أفكارنا أوآراءنا بناءاً على تقارير خاطئة، بل يجب ان تكون آراؤنا مبنية على أساس عقلاني.

**■ العمليات الانتحارية**

العمليات الانتحارية في العصر الحالي تعبير أومظهر فريد مريع من مظاهر العنف، لعل أسوأها وأشدها فتكا الهجوم على نيويورك (سبتمبر 2011) عندما هاجم مسلحون برج التجارة العالمي، فقد اختطف المسلحون أربع طائرات مدنية للركاب تحطمت اثنان في برجي التجارة العالمي .... نتج عن الهجوم مقتل 3000 إنسان، وتحطم البرجان المكونان من 110 طابق مما تسبب فى أضرار هائلة للمباني المجاورة ....

لا شك أن المسلمين يتصدرون قائمة مستعملي الوسائل الفتاكة في العمليات الانتحارية على الرغم من تحريم الانتحار وفقا لمبادئ الشريعة الاسلامية.... أورد البخاري أن أحد المسلمين جرح في إحدى المعارك ولم يتحمل شدة الألم فقتل نفسه بسيفه، وكانت هذه اول حالة انتحار في عهد الإسلام، فأخبر الرسول عنه أنه في النار. [1]

وفقا للنص والمفهوم الإسلامي، الانتحارعمل غير مشروع، فكيف صار للمسلمين مؤسسات قائمة تدرب الشباب على القيام بالعمليات الانتحارية.. إن القيام بهذه النشاطات يتطلب دعما ماديا كبيرا، والمسلمون هم من يقدمون هذا الدعم المادي لتلك المؤسسات، ولذلك فإن المجتمعات الإسلامية بكاملها متورطة في هذه الأنشطة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

كتب الأمريكي اللبناني الأصل جبران خليل جبران (1931 - 1833): « لاتسقط أوراق إلا بالموافقة الصامتة للشجر». [2] السبب الرئيسي وراء الأعمال الانتحارية في العصر الحالي، هو أن المسلمين في هذا العصر تكونت لديهم رؤية أن العالم ينقسم قسمين.. مسلمين وكفار، فغيرالمسلمين كلهم كفار.. الدول التي يحكمها المسلمون هي دار الإسلام، والدول التي يحكمها غير المسلمين هي دار الكفر. بسبب إشكالية هذا التفكير أبيحت تلك الأعمال الشنيعة ضد الكفار المزعومين..... وبسبب هذه العقلية السلبية تجرأ بعض علماء المسلمين على التصريح علناً بمشروعية الأعمال الانتحارية مع العلم أنها أعمال محرمة بكل ما تعنيه الكلمة، ولقد أصدر بعض العلماء المسلمين فتاوي تبيح الانتحار، وصاغوا مصطلح الإستشهاد تبريرا للعمليات الانتحارية.

لا شك في خطأ هذه الفتاوي ومن الغريب أن علماء المسلمين لم ينتقدوا علناً هذه الفتاوي الباطلة.

العمليات الانتحارية المعروفة ب Hari – Kiri استعملها اليابانيون على نطاق واسع، ولها جذور تقليدية في المجتمع الياباني، حيث يقدم الفرد على الانتحار بشق البطن ... كما نعلم بأن وسيلة (هاري كيري) استخدمها اليابانيون خلال الحرب العالمية الثانية وتبين عدم جدواها وفاعليتها فتركها اليابانيون.

ممارسة العمليات الانتحارية على يد المتطرفين الإسلاميين أثبتت أيضاعدم فاعليتها.. مثل تلك الهجمات التي تقتل عددا من الأبرياء، ولا تأتي بأية نتائج ايجابية. والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا تستمر

العمليات الانتحارية على الرغم من فشلها في تحقيق النتائج؟ السبب هو أن المسلمين استخدموا مفهوما لا أساس له من الصحة مفاده أن قتل المومن في ساحات المعركة شهادة ثوابها الجنة، ولا شك أن هذا معتقد باطل، فوفقا لتعاليم الإسلام لا يوجد أدنى شك في أن الذين يقتلون أنفسهم يموتون ميتة جاهلية ولاجنة لهم..

الإسلام قرر أن الدنيا دار الإنسان عامة، مسلمين وغير مسلمين، والواجب هو ان يتعامل المسلمون مع الآخرين باعتبارهم خلق اللّه... رأى النبيﷺ فى المدينة جنازة يهودي فوقف، وعندما سئل عن سبب وقوفه مع أن الجنازة كانت ليهودي، رد قائلا "أو ليست نفساً بشرية خلقها اللّه ؟"[3]

لقد عبّر النبي عن القاسم المشترك بين شخص النبي واليهودي، ذلك بأن اللّه خلق النبي، واللّه هو الذي خلق اليهودي.. هذا هو الأساس الحقيقي للمساواة.

وفقا لتعاليم الاسلام لا يوجد أدنى شك أن الذين يقتلون في العمليات الانتحارية يموتون ميتة جاهلية ولاجنة تنتظرهم.

صناعة الأسلحة في عالمنا اليوم، هى أحد أهم الصناعات الناجحة على المستوى المادي... والسؤال: من الذي جعل صناعة الأسلحة صناعة ناجحة مزدهرة.. لا شك أنه المشتري.. هؤلاء الزبائن هم خلق اللّه الذين وهبهم عقولا لتسخيرها لتحقيق مقاصد الشريعة الخيّرة، ولكنهم استعملوا عقولهم في أعمال الهدم لا البناء مناقضين إرادة اللّه سبحانه وتعالى. سيسألهم الخالق رب السنوات والأرض فهل لديهم الجواب؟

## ■ زاوية النظر

الشاعر الانجليزي والكاتب الديني فريدرك لانكبريدج Frederick Langbridge (1923 - 1849) قال في أحد أشعاره (نظر اثنان من خلال قضبان السجن أحدهما رأى الطين والآخر رأى النجوم) [1]

Two person looked from the prison bars one saw the mud and the other saw the star

بالنظر إلى حدث ما فلا شك أن زوايا النظر تختلف... الرأي الذى يكونه الفرد يعتمد على زاوية النظر... النظر من زاوية ما يجعل الفرد إيجابيا بينما النظر من زاوية نظر أخرى قد يجعله سلبيا. تجلت هذه الظاهرة بوضوح في أحداث 11 سبتمبر، ذلك أن طائفة من المسلمين رأت في الولايات المتحدة الأمريكية عدواً للاسلام وجب تلقينه درسا. اختطفت مجموعة من الإرهابيين أربع طائرات ركاب تحطمت اثنتان منها في البرجين الشمالي والجنوبي لمركز التجارة العالمي في نيويورك، وسببت أضرارا هائلة في المباني المجاورة...

بعد الهجوم على مركز التجارة العالمي، شاركت في مؤتمر نزع الأسلحة الذرية الذي انعقد في مدينه زوغ Zug بسويسرا بتاريخ 12 أكتوبر 2002 .ألقيت كلمة عرجت فيها على أحداث هجوم 11 سبتمبر المروعة، فذرفت عيناي كما ذرفت في مكتبي بنيودلهي عندما أذيع الخبر في حينه .

سبب بكائى هو علمي أن المتورطين في أعمال العنف افتقدوا الحكمة.. لقد رأوا مركز التجارة العالمي من زاوية نظر سلبية، ولو أنهم نظروا من زاوية نظر إيجابية لاستفادوا درسا عظيماً.

سافرت إلى نيويورك ڀ فبراير 1998، وصعدت إلى برجي التجارة العالم، وحيث رأى المتطرفون البرجين من زاوية نظر سلبية نظرت إلى تلك المباني من زاوية نظر إيجابية، وتبين لي حكمة وخيراً كثيرا. لقد تبين لي أن التقنية الحديثة منة وهبة عظيمة من اللّٰه سبحانه وتعالى، ذلك أنه إذا ضاقت المساحات الأفقية لعمليات البناء منحت التكنولوجيا الحديثة للإنسان القدرة على التوسع المعماري العمودي.

أنزل القران الكريم ڀ القرن السابع الميلادي قبل ظهور الحضارة الحديثة، ولقد ورد ڀ القرأن نبوءة تاريخية عن المستقبل مفادها (سنريهم آياتنا ڀ الآفاق وڀ أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)، وهذا يعني انه بعد نزول القرآن ستبدأ عملية تغيير جذرية ڀ هذه الدنيا، وقد بلغت هذه العملية التطورية ذروتها ڀ القرن العشرين.

برجا التجارة العالمي رمزاً وعنوانا لذلك التطور التاريخي، فقديما أمكن للبشر التوسع أفقيا ڀ عمليات البناء ولكن اليوم وبفضل التقدم التكنولوجى أصبح التوسع العمودي حقيقة.

برجا التجارة كانا رمزاً لفضل اللّٰه ونعمته على بني الانسان، ومع ذلك فقد اعتبر بعض المسلمين برجي التجارة رمزا ً لأعدائهم المزعومين وتم تدميرهما بغزو جوي لم يسبق له مثيل.

نبوءة القرآن السابق ذكرها، تجلت بطرق متعددة ڀ هذا العصر، ومثال ذلك ان الإبداع أوالاعجاز ڀ مخلوقات اللّٰه لم يُر فيما مضى إلا بالعين المجردة، لكن اليوم أمكن رؤية الإبداع بتفاصيل دقيقة بعد اختراع المجهر والتلسكوب... لقد تمكنا ڀ الماضي من الدعوة إلى

دين اللّه على نطاق محدود، لكن اليوم نتيجة للتقدم العلمي في مجال الاتصالات والطباعة يمكن لنا أن نقوم بالدعوة إلى اللّه على نطاق عالمى .عندما تعذر السفر والترحال لعوائق لم يمكن تفاديها كالجبال والغابات الكثيفة والمحيطات اخترعت الطائرات لتعلو فوق كل هذه العوائق وتجعل السفر ممكنا وسهلا ومريحا.

فى عصر الملوك كان للعوام من البشر فرصا محدودة، ولكن الديمقراطية الحديثة قلّصت بصورة إستثنائية من القوى السياسية للحاكم، وهذه الظاهره فتحت مجال الفرص لعامة الناس للتقدم في العديد من المجالات ... العصور السابقة قامت على التعصب الديني، أما اليوم يتمتع عامة الناس بحرية دينية لم تتوفر لهم من قبل.

التغيرات في هذا العصر صيّرت العنف أمرا عقيماً، وإن التطورات في هذا العصر مكنّت الأفراد من تحقيق الأهداف المنشودة بالوسائل السلمية، تلك الأهداف التي لم تتحقق في الماضي إلا بوسائل العنف.. كل توسع في الماضي أدى إلى المواجهة، ولكن وسائل التطور اليوم أدت إلى إمكانية التوسع على نطاق واسع دون الحاجة إلى اللجوء إلى المواجهة والعنف تجاه الآخرين

إنها حقيقة كون الإنسان بطبيعته طموحا ولتحقيق طموحاته لجأ في الماضي إلى محاولة إلحاق هزيمة بالعديد من الأمم أواحتلال مزيدا من الأراضي بخوض مزيدا من المعارك الواحدة تلو الأخرى، ولكن اليوم لا حاجة للانسان أن يسلك هذه السبيل، ذلك أن التكنولوجيا المعاصرة صارت البديل المناسب لتحقيق كل تطور وتقدم دون اللجوء إلى العنف والقتال.. لقد فتحت التكنولوجيا الحديثة الأبواب على مصراعيها لتحقيق السلام.

فالعصر الحديث هو عصر التكنولوجيا ومن يستمر في السير في ساحات القتال، فإنما يبرهن على عدم درايته بالفرص والإمكانيات المتاحة لهم في هذا العصر.. إنهم يطلبون الحياة في عصر السلام بعقلية الحرب التي أكل عليها الدهر وشرب.

لقد استمرت الحقبة الأوروبية الإستعمارية من القرن السادس عشر الميلادي إلى منتصف القرن العشرين، وكان الهدف الأساسي للعمليات الإستعمارية هو الإستحواذ على السوق العالمية لتحقيق الإنتاج، وكان هذا ممكننا فقط بالسيطرة سياسياً على البلدان الأخرى، فتحول الإستعمار عملياً إلى استعمار سياسي، ولكن اليوم أمكن للدول الصناعية تحقيق أهدافها بصورة أكبر من ذي قبل دون الحاجة إلى شن الحروب والمعارك وهذا التغير لم يكن ليحدث لولا التطور التكنولوجي الحديث.

إن أولئك المسلمون الذين يحاربون من أجل تحقيق مكاسب سياسية قد لايكون لديهم علم ودراية أنهم بتوظيف المصادر التكنولوجية الحديثة يمكنهم تحقيق كل أهدافهم بسلام، وعلى العكس من ذلك فإن وسائل العنف لا تأتي إلا بمزيد من الخسائر المادية والبشرية.

**■ الحياة في هذا العصر**

المشاكل التي تواجه المجتمعات الإسلامية في هذا العصر مصدرها واحد ألا وهو عدم الدراية بإمكانيات العصر المتاحة.

العصر الحديث بكل ما تعنيه كلمة عصر حديث... إذا كان العصر السابق عصراً تقليديا، فإن العصر الحديث غير تقليدي، ولكن المسلمين اليوم غير مدركين لهذه الحقيقة ولأن أعمالهم ومخططاتهم

تمارس بصورة تقليدية كانت نتائجها دائما عقيمة وغير مجدية.

المسلمون المعاصرون مفارقة تاريخية، إنهم يعيشون الحاضر متمسكين بطريقة تفكير العصر السابق أو بعقلية تقليدية.

إن أية مجهودات بغية إصلاح المجتمعات الإسلامية لن يكتب لها النجاح إلا بإحداث تغيير جذري في عقلية أو طريقة تفكير المسلمين... يجب أن تخرجهم الجهود المبذولة من الماضي ليعيشوا الزمن الحاضر.

خلال الحرب الإيطالية – التركية 1911 – 1912، كان للمقاتلين الليبيين شعارا مفاده «مت اليوم عزيزاً قبل أن تموت غداً ذليلا».... الراية التي طُبع عليها الشعار شاهدناها ولا تزال تعرض في معرض طرابلس... تعبّر هذه الراية عن مشاعر المسلمين إلى يومنا هذا، ولكن الحقيقة تناقض خطة اللّه في الكون.

الشعار الصحيح يجب أن يكون «الحياة هبة من اللّه، ويجب أن توظف لأهداف خلاقة... كل بني الإنسان حباهم اللّه بخصائص فريدة، وإنه نقيض لخطة اللّه في الكون أن يعيش الإنسان ليحارب ويقتل فقط.

كل الخلق يجب أن يعيش ويوظف قدراته توظيفا صالحا... كل التقدم الذي نراه في الدنيا لم يتحقق على أيدي من حارب وقتل، بل تحقق على أيدي أولئك الذين وظّفوا حياتهم التي وهبها اللّه لهم توظيفًا خيّرا.

لو أن الإنسان في كل بقاع الأرض لجأ إلى الحرب لم يكن ليحدث أي تقدم وتطور، وحتى وسائل الحرب الحديثة التي يستخدمها

المتطرفون لم تكن لتظهر إلى الوجدود.

لايزال سواد عظيم من المسلمين حتى يومنا هذا، متأثرين بطريقة تفكير المقاتلين الليبين... إن عنف المسلمين اليوم، ينبثق عن طريقة التفكير هذه.

الجماعات الإسلامية التي تمارس الإرهاب تدرك جيدا قوة الأطراف الأخرى، وتعلم ان أعمالهم والعنف الذي يمارسونه لن يكون له أي تأثير، ولكنهم يواصلون أعمال العنف.. إن الدافع وراء هذا العنف هو الاعتقاد الباطل أن ممارسة العنف تحت مسمى الجهاد وقتلهم فيه شهادةً ومصيرهم إلى الجنة والنعيم الدائمين. هذا الاعتقاد باطل ولا يوجد أفراد أو جماعات تسعى لقتل المسلمين، بل على العكس من ذلك، فالمسلمون هم من استحدث نظرية المؤامرة لإلحاق الضرر أو قتل المسلمين. هذا الخوف غير الطبيعي والذي لا أساس له يدفعهم إلى العنف وساحات القتال فهو الأمر الذي لا يؤدي إلا إلى مزيد من التقهقر والانحطاط... كل الاحداث ماهي إلا هجومات قام بها المسلمون أدت إلى ردود أفعال من الغير .

الشاعر السوري المعروف خير الدين الزركلي توفي عام 1976.. في كتابه «الأعلام» الذي يتكون من مجموعة مجلدات ذكر فيها أعلام المسلمين في الماضي قال:

إن المسلمين يمكن لهم النهوض من جديد، إذا ظهر من جديد رجل بعظمة الأولين. وفي أحد أشعاره عبّرعن هذه العواطف قائلاً:

**هات صلاح الدين ثانيا فينا.... وجدد حطين أو شبه حطين**

تعكس هذه الأبيات الشعرية للزركلي تفكير المسلمين المعاصرين...

دوّن الأدب الاسلامي انتصارات صلاح الدين الايّوبي والقادة المسلمين في الحقبة التاريخية الأولى للمسلمين بتفصيل دقيق مما أدى إلى إعتقاد المسلمين أنه إذا ولد رجال من أمثال صلاح الدين فسيقودهم إلى النصرالذي تحقق لهم سابقا في القرن العشرين... هذا التفكير يعبرعن فقدان للمعرفة الدقيقة بالعصر الحديث.. المسلمون غير مدركين أن النصر (نصر صلاح الدين) في القرن الثانى عشر لايمكن تحقيقه في هذا العصر.. لقد ظهر قادة من امثال صلاح الدين، كسيد قطب وياسرعرفات وقادة مجاهدين آخرين، ولكن لم يتمكنوا من تحقيق اى تقدم للمسلمين. الحنين إلى عودة صلاح الدين هو للأسف عدم إدراك لحقائق العصر الحديث. على المسلمين إدارك أن القوة في هذا العصر لا تقاس بالحرب، ولكن تقاس بمدى التقدم العلمي والتكنولوجى..

فى هذا اليوم، وفي هذا العصرالطريق الأكيد للنجاح هو العمل في نطاق العوامل الفاعلة السابق ذكرها، وعدم الأخذ بعين الإعتبار متطلبات العصر وإملاآته هو السبب في ذهاب أعمال المسلمين ومجهوداتهم أدراج الرياح.

■ **لماذا ينضم الشباب إلى الجماعات الإرهابية؟**

ينضم الشباب في عصرنا هذا بأعداد كبيرة إلى الجماعات الإرهابية، ويظن البعض أن هذه الظاهرة غير قابلة للتفسير. ولكن من واقع التجربة يمكن لنا توضيحها بمصطلحات قابلة للفهم. الشباب لديهم طاقة ونشاط كبير، ولديهم الرغبة في القيام بأعمال ثورية، وقادرين على تسخير أنفسهم لأهداف عظيمة... لإشباع هذه

الرغبة عملنا أنا وزملائي بطريقة ناجحة إلى حد كبير.

إن العلم بحماس ورغبة هؤلاء الناس للأنشطة والأعمال الإيجابية، قادنا إلى عمل مشروع عالمي ذا طبيعة مسالمة... قام هذا المشروع على العمل على توزيع تراجم القرآن الكريم وبعض المطبوعات المساعدة إلى كل أمم العالم. ولنجاح هذا المشروع قررنا ترجمة القرآن إلى اللغات الرئيسية، وحاليا لدينا مطبوعات لتراجم القرآن الكريم بعشر لغات عالمية.

عندما أطلقنا المشروع انضم إليه شباب كثير من المسلمين وغير المسلمين بحماس كبير، وقاموا بعمل برامج عمل بأنفسهم لأجل أن تصل التراجم إلى الناس كافة في مختلف أرجاء العالم. وحقيقة إن أخبار القرآن والإسلام أصبحت مادة للبحث وموضوعا للإعلام المعاصر. وأحدث ذلك استعدادا عند الآخرين لقبول نسخة من تراجم القرآن القرآن الكريم، الأمر الذي شجع كل المشاركين في هذا المشروع على نطاق واسع.

خلال مؤتمر عالمي عقد بتاريخ 20 - 30 ابريل 2015 في أبو ظبي تحت إشراف منتدى تعزيز السلام في المجتمعات الإسلامية ألقيت خلال هذا المؤتمر كلمة نوهت فيها على ضرورة إيجاد بديل عملي ذي صبغة سلمية إذا أردنا فعلا تغيير شاكلة التفكير لدى الشباب، وافضل البدائل هو نشر وتوزيع القرآن على مستوى العالم.

هذا الهدف وضعه رسول الإسلام في القرن السابع الميلادي، فقد ورد في سنته ﷺ قوله أن القران كلمة الله ستصل كل بيت (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار...) [1] لم يكن هذا الحديث إلّا نبوءة في

عصر النبي المصطفى ﷺ ولكن اليوم في عصر التكنولوجيا الحديثة والاتصالات صار من الممكن تحقيق هذه النبوءة على أعلى مستوى.

العنف باسم الإسلام صار مادة إعلامية في كافة أنحاء العالم، وهذا الحال جعل من القرآن مادة للنقاش وزاد من فضول الآخرين لمعرفة رسالة القرآن ودراسته والخير الكثير الذي يمكن أن تقدمه للشباب هو إعطا ؤهم هدف تبليغ القرآن لمن أراد أن يتعلم.

- يجب على الشباب المسلم النهوض لنشر رسالة القرآن في كل أنحاء العالم، وهذا العمل أكثر ببلايين المرات جاذبية عند الشباب المسلم من جاذبية الإرهاب. المشكلة الأساسية والوحيدة هي أن الشباب المسلم لم يفتح لهم مجال الإدراك والوعي بهذه المهمة، وإذا ماتم توضيح أهمية هذا العمل للشباب المسلم بلغة يفهمونها سينبذ - بكل تأكيد - الشباب الإرهاب، ويسرعون الخطى في سبيل مهمة نشر القرآن الكريم وتوزيعه.

أحد الأبحاث المعاصرة تؤكد على أن ظاهرة الإرهاب لها صلة مباشرة بالحاضر. الخبيرة بالعلوم السياسية (ف.ب فورتونا ) من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية في رسالتها عن الإرهاب ذكرت التالي :

الإرهاب وسيلة رخيصة الثمن لإلحاق الألدى والألم بالآخرين [2] الثقافه الإرهابية المعاصرة هي نتيجة لتغذية مشاعر الغضب.. فما الذي يفعله الإرهابيون سوى إلقاء قنابلهم السلبية المتغلغلة في أعماقهم على أعدائهم المزعومين... يجب أن يوضح لهم أن بين أيديهم سلاح أقوى ألا وهو القرآن الكريم، قنبلة إيجابية أكثر تأثيرا وفاعلية بملايين

المرات من قنابل العنف التي يلجأون إلى استخدامها.. سينجح هذا التوجّه على أن يشجع الناس على استبدال منهج العنف بالسلام. هذه الحقيقة جُرّبت فيما مضى في عهد الاسلام الاول.. كان العرب مجتمعا قبليا في ثقافته، تبنى ثقافة السيف في مواجهة الأعداء، ولما أُنزل القران الكريم كان البديل الإيجابي لتلك الثقافة. لقد حولت أيديولجيا القرآن العرب إلى أبطال السلام. [3]

انطلق المسلمون خارج حدود المنطقة العربية ونشروا رسالة القرآن في كافة الأرجاء. كتب عالم الإنثروبولوجيا آرثركيت كتابه بعنوان « نظرية التطور الجديدة »(1948)، عرج فيه على ذكر تاريخ مصر القديمة، وعلق فيه على كيفية دخول المصريين إلى الاسلام قائلا: «لم تفتح مصر بالسيف بل بالقرآن»[4]

إذا أدرك المسلمون أن القرآن هو البديل فسيشهد العالم كيف أن منفذي أعمال العنف بالأمس هم أبطال السلام اليوم.

**■ السلام عن طريق التعليم**

الروائي الروسي الشهير ليو تولوستوى (1910 - 1828) اعتبر من أعظم الروائيين على مر الزمن، كتب قصة قصيرة عنوانها (**حكمة الأطفال**) وطبعت أول مرة سنة 1885

ذكر في هذه القصة ملاحظة عندما شاهد بعض الأطفال يلعبون. والأمرالذي أثار انتباهه هو أن الأطفال خلال اللعب يدخلون في نقاشات حادة ولكن خصامهم لا تعقبه كراهية ومواجهة، بل يعودون سريعا إلى اللعب من جديد كما بدؤوا أول مرة.

تولستوى اعتبر أن هذا هو نموذج الطبيعة لحياة السلام.

الاختلافات تظهر بين البشر، ولكن يجب ألا تتعدى التعبير اللفظي، ولايجب ان تؤدّي إلى مشاعر الكراهية والعنف والحروب.. لقد كانت رواية تولستوى تقوم على فحوى هذا النموذج الذي تقدمه الطبيعة.

إنها لحقيقة أن نموذج الطبيعة يماثل مانجده في حياة الأطفال في مرحلة التكوين، ذلك لأن «الأنا» لازالت في مرحلة التطور.. إنهم يعيشون مرحلة ماقبل «الأنا»، ولكنهم عندما يكبرون ليكونوا جزءا من المجتمع، تختلف أفعالهم وسلوكياتهم ...إن كل التحديات والمشاكل في الدنيا هي ظاهرة النمو أو التقدم في السن عند الأطفال.. عندما يكبر الأطفال، تنمو «الأنا» لديهم ويتحولون إلى أنانيين. كيف يمكن للنموذج الخالي من «الأنا» أن ينطبق على «الأنا»..

في مرحلة الطفولة يحكم سلوك الإنسان فطرته التي فطر عليها ولكن عندما ينضج الإنسان فالذي يحكم سلوكه هو الوعي والإدراك... الآن أصبح دور الفطرة في حكم سلوك الأطفال محدود، والمطلوب في هذه المرحلة هو تطوير طريقة تفكير الراشدين حتى يتمكنوا من التعامل بسلوك الأطفال على وعي وإدراك وقوة إرادة.

كتب تولستوي وأدباء آخرون العديد من الرويات التي كانت مصدرا للترفيه والإستمتاع، ولكنها لم تكن أداة للتدريب المنهجي للعقل البشري. من أجل التدريب الواعي للقراء فإنه من الضروري كتابة مايخاطب العقل والمنطق، ومثل هذه الكتب يجب أن تقوم على الحقائق التاريخية مستشهدة بالمعرفة العلمية، ويجب أن تقدم أمثلة لخبرات وتجارب شخصيات حقيقية لا شخصيات خيالية.

الخيال يعنى بالحس الترفيهي ولايخاطب عقله...عندما نتحدث

عن شيء بالمنطق الخيالي، فإن ذلك لا يعود بأية نتائج ذات قيمة، ولن يحدث أي تغيير جذري حقيقي في حياة وسلوك الأفراد.

أعظم قدرات الإنسان ومواهبه هي القدرة على التفكير العقلاني، لقد قيل أن الإنسان حيوان يفكر

قراءة الروايات مصدر للترفيه والتسلية، ولكن إذا أردنا إحداث ثورة في حياة الأفراد، فعلينا أن نقدم الحقائق بطريقة تقوم على المعرفة الحقيقية والتفسير العقلاني، هذا هو السبيل الوحيد الذي يمكننا من خلاله إحداث ثورة وتغيير في طريقة تفكير الأفراد ولا يمكننا إحداث أي تغييرذي فائدة ونفع إلا بالثورة الفكرية.

إن بناء مجتمع يقوم على السلام، يحتاج إلى إعادة هندسة العقل البشري، وهذه المهمة يمكن القيام بها عن طريق التعليم، ولعل التعليم غير النظامي أقرب من التعليم النظامي. المقصود بالتعليم غير النظامي هو تحصيل المعرفة عن طريق الإعلام والأدب والندوات والمؤتمرات وعن طريق الحوا .... الخ

هنا أنا اتحدث عن السلام من وجهة نظرية، ولكنني خضت التجربة العملية في مدينة كشمير، حيث عملت على تعليم التفكير السلمي منذ سنة 1968 ولا زلت أبذل قصارى جهدي لتحقيق هذا الهدف. ولقد حدث تغيرعظيم نتيجة لهذا العمل، واليوم تجد في كل بيت من بيوت الكشميريين مادة علمية تدعو إلى السلام وتعلم السلام

نظمنا اجتماعا سنة2011 مع الكشميريين الذين لهم معرفة بأفكارنا، وبهذه المناسبة قال أحد المتحدثين نيابة عن مجموعة من الكشميريين، إنهم تقدموا بخطى بعيدة من أكتوبر1968 حتى أكتوبر

2011، لقد كنا نرمي الجيش الهندي بالحجارة، واليوم نقدم لهم مطبوعات وأدبيات السلام.

كشمير بعد أن كانت أرض العمليات الفكريه منذ سنة 1947 صارت إلى حد بعيد بلد سلام، وإذا ما مورست أعمال عنف فهي لا تحدث على أيدي الكشميريين، ولكنها نتيجة لحرب بالوكالة تحت إشراف ورعاية أيدي خارجية.

المثال أعلاه تحقيق السلام عن طريق التعليم يمكن ممارسته في أي مكان، وأكثر الطرق تاثيرا ونجاحا لإحلال السلام هم طريق واحد ألا وهو التعليم.

إن أفضل طريقة لإحداث التغيير في المجتمعات هي التعليم ... قبل عصر الطباعة لم تكن الكتب متوفرة، ولذلك كان من الصعب تعليم الناس على مستوى واسع النطاق، والحرب هي من بقايا العصر القديم، عندما حاول الناس إحداث التغيير بالقوة الأمر الذي ينتهي دائما إلى شن الحروب.

اليوم نعيش في عصر الطباعة، والكتاب أصبح متوفرا مما جعل إحداث التغيير ممكنا فى المجتمعات بالتعليم على مستوى واسع النطاق

إن أولئك المنشغلين بالحرب لأجل الإصلاح يبرهنون على عدم علمهم ودرايتهم بهذه الحقائق، ولو أنهم أدركوا لألقوا السلاح جانبا وأعملوا جهدهم وإمكانياتهم في مجال التعليم

## الباب السادس

# السلام في العالم الإسلامي

# السلام في العالم الإسلامي

**• الطمأنينة هي الأهم**

العقل من أهم ملكات الإنسان، وبيئة السلام هي البيئة المناسبة والمهمة ليعمل فيها العقل ويبذل أقصى طاقاته. فالعقل من أعظم الهبات التي أنعم اللّه بها على الإنسان، وكل الإنجازات البشرية إنما هي ثمار النشاط العقلي. ولكي يؤدي مهمته ويعمل بكل هدوء يحتاج إلى السلام الذي بدونه ما كانت ولن تكون هناك إنجازات على الإطلاق.

لقد استمر حكم الإمبراطورية الرومانية لأكثر من ألفي عام، ولم يحدث تقدم علمي على مدى هذه الفترة الطويلة، ويعزو معظم المؤرخين هذا الأمر إلى انعدام حرية الفكر، فكل من يعبر عن وجهة نظرٍ تخالف نظر الملك يقتل، فالقول السائد هو:» الملك لا يخطئ أبداً « فهو الشخص الوحيد الذي يحق له أن يفكر، وكل تفكير غير تفكيره يقمع وبكل قوة، لذا كان من الطبيعي أن يؤدي هذا الجو إلى الركود الفكري الكامل.

لقد وضعت الثورة الفرنسية نهايةً لنظام الحكم الملكي الوراثي الذي كان سائدا، وبهذا انبلج فجر الديمقراطية مما أدى إلى ظهور حرية الفكر الفردي. ففي الماضي كان للملك الحق في التفكير، أما اليوم فالحق مكفولٌ للجميع، فكل فرد يحق له أن يفكر، وبهذا تضاعفت عملية النشاط الفكري مليارات المرات، وفتحت الثورة الفكرية الباب أمام العلماء ليعملوا الفكر مما أدى إلى ظهور الاكتشافات العلمية الحديثة.

إنّ تقدم وسائل المواصلات على سبيل المثال، كان بسبب الأبحاث العلمية حيث كانت هذه الإمكانات مخفيةً في الطبيعة في صورتها الأولية، ثم أصبحت حقيقة واقعة، فطبقاً للخطة الربانية كل شيءٍ يوجد في حالته الأولية كهذه المنح التي ظهرت في العصر الحديث. إنّ الذين ينخرطون في الأعمال الإرهابية يسيرون عكس الخطة الإلهية بتقويضهم للسلام، وطبقاً لسنن الله فإن وجود السلام الشامل والكامل في العالم ضروري ليتمتع كل فرد بالحرية الكاملة حتى يفكر ويعمل دون تدخل أحدٍ، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها تحويل كل ما هو كامنٌ في الطبيعة إلى حقيقةِ واقعةِ. فعندما يقوم الإرهابي بقتل شخص ما فهو بذلك يقضي على عقلِ يفكر، ولو قتل أكثر فإنما يقضي على عقولِ أكثر، وبناءً على ذلك فعندما تقوم مجموعة ما بأنشطةِ مسلحةِ لتحقيق أهدافِها الخاصة فهذا وبدون أدنى شكِ يعرض النظام الرباني للخطر.

إن العقل البشري يعد إمكانية عظيمة، لكنه لا يعمل إلا في وجود السلام، فبغياب بيئة السلام ستبقى إمكانات العقل الكامنة راكدة دون استغلال، ولن يتاح استغلالها أبداً. وبهذا فإن من ينخرطون في الأنشطة الإرهابية إنما يمارسون أعمالاً تضاد الطبيعة وتعارضها.

إنّ الأحداث والتجارب تؤكد على هذه الحقيقة، فمنذ انخراط المسلمين في هذه الأنشطة في العصر الحديث، لم يظهر إلى النور أيّ تقدمِ أو تطورِ علمي في العالم الإسلامي، لقد تحولت المجتمعات الإسلامية جميعا إلى مجتمعات مستهلكة وغير منتجة عكس ما كانت عليه في الماضي.

طبقاً للمبدأ الذي نجده في الطبيعة والذي عبر عنه القرآن على النحو التالي: « فأمّا الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» الرعد 19 . يتبين لنا أن الذين يبرهنون على أنهم نافعون هم فقط من يستحقون النجاح. إنّ الذين ينخرطون في الأنشطة الإرهابية في العالم الإسلامي هم العائق الدائم أمام تطور المسلمين وتقدمهم. فعلى هؤلاء أن يوقفوا الأنشطة الإرهابية ويقوموا بدفن أسلحتهم فورا حتى يعم السلام العالم الإسلامي بالكامل وينتشر من جديدٍ، وليبرهنوا على أنهم مجتمع منتجٌ وخلاق.

إنّ البلاد التي ينتشر فيها الإرهاب ينهار فيها التعليم والتطور العلمي، أمّا التي يعم فيها السلام فينتشر فيها التقدم ليعم كل المجالات، وهذا يدل عليه المثل الذي يقول:

**(حيثما حل السلام ظهر التطور والتقدم في كل المجالات، أمّا العنف فيقضي على جميع الأنشطة البناءة.)**

إذ لا يمكن أبداً الحصول على أي هدفٍ خلاقٍ عن طريق الحرب والقتال، فلا يمكن زرع شجرةٍ أو إنشاء مدينة نموذجية أو مجتمعٍ متمدنٍ ومتعلمٍ عن طريق القتال.

إنّ الذين ينخرطون في الأنشطة الحربية يبرهنون على أنهم غير واعين ولا مدركين لحقيقة الحياة، فمحاولتهم الحصول على أهدافٍ إيجابيةٍ بهذه الطريقة هو بمثابة حكمٍ جائرٍ ضد الإنسان وضد الخالق. إنّ الكون بكامله نموذجٌ للسلام إلا أنه سلام مجبول وليس بالاختيار، والله العلي القدير شاء أن يخلق الإنسان الذي يمكنه أن يختار السلام عن محض إرادته أي سلام باختيار، وأسكنه الأرض

ووعد كل من ينجح في هذا الاختبار بالجائزة العظمى، أما من يختار ثقافة العنف فإنما يسير ضد خطة الله في الخلق، وبهذا يعرض نفسه للحرمان من هذه الجائزة التي هي وعد من الله.

إنّ عقلية هؤلاء إنما تؤدي إلى تعطيل التفكير الخلاق وهذا يؤدي إلى الركود والجمود الفكري، ويا لها من خسارةٍ فادحةٍ تجعل الاستمرار في العنف ولو لحظةٍ واحدةٍ عملٌ لا مبرر له.

**■ جدول اعمال لم يكتمل**

حين ترأس الجنرال راحيل شريف القائد الأعلى للقوات المسلحة الباكستانية المؤتمر المنعقد في الأكاديمية العسكرية للدفاع بإسلام أباد في يونيو 2015، أعلن» أن كشمير وباكستان لا يمكن أن تنفصلا وأنّ ضم كشمير هي الغاية السامية التي يسعى لتحقيقها»[1]

إنّ مقولته هذه تظهر جانبا كبيرا عن العقلية العسكرية للمسلمين في وقتنا هذا، وهي السبب من وراء انخراط المسلمين في أعمال العنف في بقاع الأرض جميعاً، فالبعض قد انخرط فيه مباشرة، أمّا الآخرون إنما يفكرون على الشاكلة نفسها.

ظاهريا هناك جماعات وطوائف متعددة داخل المجتمع المسلم، إلا أنها جميعا تحمل فكرة مشتركة واحدة، وهي أن لها غايةً سامية لم تدرك وتسعى جاهدا لتحقيقها. يبدأ الحافز على مستوى العقل، وسرعان ما تبدأ المطالبات والاحتجاجات، وفي نهاية المطاف يستخدم العنف، فما هي الغاية السامية التي لم تتحقق بعد؟ لبعضهم كشمير، ولآخرين القدس، وآخرين الخلافة، وأخرى تطبيق الشريعة، هذه هي الغايات التي يقاتل المسلمون من أجلها أعداء مفترضين، ولكن

رغم مضي فترات طويلة من الزمن لم تتمكن أي مجموعة من تحقيق غايتها هذه.

• لماذا — إذن - هذا الفشل؟ هناك آية قرآنية تلقي الضوء على هـذه المسألة حيث يقول الله تعالى:» ولا تهنوا ولا تحـزون وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين « آل عمران 139 . وآيات عديدة أخرى تبين أن النجاح في هذه الدنيا حليف من يسير وفق السنن الإلهية، ومن يخالفها فلن يتحقق له النجاح، وهذه السنن لا تحابي أحداً سواء مسلمين أو غيرهم.

هذه السنن تعني أن الغلبة السياسية لا تكون دائما لصالح مجموعة ما، فقد تكون في أيدي البعض في زمن ما، ثم في أيدي آخرين في وقت آخر ولقد ذكر هذا المبدأ في مواضع عديدة في القرآن، على سبيل المثال **سورة آل عمران الآية** 26 :﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾.

طبقا لهذا المبدأ فإن عدم تحقيق أحد ما لهدفه رغم الحرب والقتال دليل على أنه يخوض حربا في غير محلها. إنها محاولة تحقيق هدف مستحيل طبقا للقوانين الربانية. إن المبادرة بإعلان الحرب في هذا الوضع أمر مسموح به، أما الاستمرار فيها فليس له مبرر. فقد تعلن جماعة ما الحرب لتقديرات خاطئة ثم تدرك أنها فشلت في تحقيق هدفها المطلوب رغم التضحيات العظيمة في الأرواح والأموال، عندها يتوجب عليها أن تتوقف حالا، وتغير وجهتها إلى الوجهة الصحيحة، في هذه الحالة فإن البداية الخاطئة يمكن الصفح عنها، أما الاستمرار على نفس الخطأ فهو أمر مرفوض رفضا تاما ولا يمكن الصفح عنه.

تنخرط العديد من الجماعات الإسلامية اليوم في القتال لتحقيق غايتها السامية الغير مدركة، ولكن الأحداث تظهر أنها جميعا تواجه الفشل التام، لقد حان الوقت أمام الجميع لأن يتوقفوا ويغيروا وجهتهم ويسلكوا الطريق الصحيح، إنه من الضروري على كل مجموعة أن تضع حدا لهذا الأمر وتتوقف عن القتال ولتكتشف من خلال دراسة القرآن والسنة النبوية العمل الذي يتوجب عليها القيام به.

- إن العنف لا يعد أبدا الخيار أمام المسلمين، ولا يجب ان تكون غايتهم الكفاح من أجل تحقيق الأهداف السياسية.
- ليس أمام المسلمين إلا خيار وحيد الا وهو الإنخراط في نشاط الدعوة السلمي.

من خلال دراسة القرآن يتبين لنا أنه منزل للناس كافة، الفرقان آية (1):﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾. لذا فإن الغاية السامية التي لم تدرك بالنسبة للمسلمين هي واحدة وهي تبليغ تعاليم القرآن ونشرها في العالم أجمع.

- على المسلمين أن يدركوا أن عدم نجاحهم في كل المجالات التي يخوضون فيها إشارة وتنبيه رباني لهم، وعليهم أن يعلموا أن الله غير راض عن الأنشطة التي يمارسونها اليوم، إن ما يرجوه الله منهم هو العمل من أجل الغاية المطلوبة الصحيحة، ولو أنهم قاموا بذلك فسيستحقون نصرة الله،﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ سورة الحج آية 40.

إن الله في انتظار أن يمن بنصره على الذين يختارون القيام بالهدف الصحيح وهو النشاط الدعوي السلمي.

■ **منهج الجنرال** De Gaulle

عندما بدأ الاستعمار الأوربي في الإنتشار في كل الجهات خلال القرن السادس عشر اتجهت بريطانيا لاستعمار الدول الآسيوية، أما فرنسا فقد اتجهت إلى أعماق القارة الأفريقية، حيث استولت على الجزائر سنة 1830. وكان ذلك بداية الاستعمار الفرنسي لشمال أفريقيا، ثم استولت بعد ذلك على عدد كبير من الدول الإفريقية حيث بلغت الدول التي وقعت تحت حكمها 15 دولة.

لقد حرص الإستعمار الفرنسي على أن يكون الحكم السياسي لهذه الدول شديد جدا، فقد كان حكما بغيضا عند الشعوب الإفريقية، مما أدى إلى ظهور العديد من الحركات التحررية، فكان على الفرنسيين أن يرسلوا الجيوش تلو الجيوش لإخماد هذه الثورات حتى تبقى هذه الدول تحت سيطرتهم مما أدى إلى ارتفاع الميزانية العسكرية فوق الطاقة فلم تعد محتملة، وهذا نتج عنه تأخرها في مجالات عديدة لحد كبير. فقد تأخرت في السباق النووي أمام قريناتها من الدول.

وعندما تولى الجنرال شارل ديجول حكم فرنسا سنة 1958 كان الانحطاط الاقتصادي قد بلغ مستوى خطيرا جدا، فأصبح اهتمام الرئيس ديجول منصبا على أن يجعل لفرنسا مستقبلا جديدا وحياة جديدة بدل المحافظة على عزتها وكبريائها، وعندما فكر في الأمر بموضوعية وصل إلى نتيجة مفادها أنه لكي يصل إلى غايته عليه أن يمنح الاستقلال لكل المستعمرات الفرنسية في إفريقيا، وبهذا دخل في مفاوضات مع القادة الأفارقة، وفي خلال فترة وجيزة منح الاستقلال للدول الإفريقية التي كانت تحت الحكم الفرنسي.

لقد كان حلا جذريا، إلا أنه توجب على ديجول أن يدفع الثمن الباهظ حيث أقيل عن الحكم في سنة 1969 لانهيار شعبيته، حتى أن ذكرى وفاته لم تخلد أبدا. وبالرغم من ذلك فإن تقدم فرنسا السريع كان سببه سياسة ديكول هذه، فقد أصبحت الدولة الأولى في أوربا في مجال العلوم النووية. على القادة الإسلاميين اليوم أن يأخذوا الدرس من هذا المثال، فقيادتهم للمسلمين لم تقدم مكاسب إيجابية بل على العكس من ذلك كان لها نتائج سلبية ضد المسلمين، لذا توجب على القادة الذين يتصدرون المشهد القتالي اليوم أن يغيروا سياساتهم تغييرا جذريا، إذ عليهم أن يتخلوا عن استعمال العنف وأن يتبنوا الأسلوب السلمي.

إن سمعتهم كقادة حتما ستتأثر بسبب سياسة التغيير الجذري هذه، إلا أنه بالنسبة للمجتمعات الإسلامية جميعا وبكل تأكيد ستبدأ مرحلة التقدم في مجالات البناء والرقي لكي تصبح مجتمعات ناهضة، بدل كونها مجتمعات متخلفة.

إن الجانب الأعظم لهذا الأمر هو أن نظرة الناس للمسلمين ستشهد تغييرا عظيما نحو الأفضل، حيث أدى خوض المسلمين في الأنشطة الحربية التي استمرت لفترات طويلة إلى وصف الإسلام لدى الجميع بأنه دين العنف. ولو أن المسلمين سلكوا أسلوب السلام فإنه يمكن أن يعرف الإسلام بأنه دين السلام الذي يحث أتباعه على العمل والعيش في سلام. في الواقع إن تقديم صورة صحيحة عن الإسلام يعد من الأشياء العظيمة التي يمكننا القيام بها.

إن العمل الذي قام به شارل ديجول ليس سياسة خاصة به، بل

سياسة مبنية على أسس من السنن الكونية، إنها السياسة المتعارف عليها بالاستدارة على شكل حرف «يو» باللغة الإنجليزية أي تغيير الاتجاه بالكامل.

- يقال: من يخطئ فهو بشر، فكل فرد أو دولة من الممكن أن يرتكب الأخطاء، فإذا وجد أحدنا أن أنشطته ليست مثمرة ولا تعطي النتائج المرجوة وجب عليه أن يكون على أتم الاستعداد لمراجعة سياسته في الحال، وعليه أن يغير اتجاهه فورا، إن ارتكاب الأخطاء في كل الأحوال ليس أمرا لا علاج له، بل كل ما يتطلبه النجاح هو مراجعة السياسة وتغير الاتجاه.

هناك البعض من القادة الإسلاميين في هذا الزمان قد سلك منهج العنف وليس الجميع، ونتيجة لأوضاع العصر الحديث حاز هذا الاسلوب على تأييد الغالبية العظمى من المسلمين، إلا أن التجارب أثبتت أنه ليس الخيار الصحيح حيث لم يعط الثمار المرجوة، وبناء على هذا وجب القبول بالتضحية بالتخلي عنه وسلوك مسلك جديد حتى ولو كان الوقت متأخرا، وذلك بمراجعة سياستهم بالكامل، فهذا أفضل من لا شيء على الإطلاق.

إن الديجولية ليست سياسة الجنرال الفرنسي لوحده بل هي سياسة تسير على خطى سنن الكون، إن سنن الكون توضح لنا أنه عندما لا نحصل على النتائج المرجوة وجب علينا أن نكون على أتم الاستعداد لتبني إستراتيجية التراجع، فالتراجع يعد في ظروف عديدة نوع من التقدم إلى الأمام.

■ **المعيار العالي والمنخفض:**

عاش جمال الدين الأفغاني بين سنة 1839 - 1897، ويعد من أبرز القادة السياسيين في عصره، فقد حصل على مناصب كثيرة في العديد من الدول الإسلامية مثل أفغانستان وإيران وتركيا ومصر لما يتمتع به من ميزات عظيمة، إلا أنه أضحى غير مرحب به بسبب ممارسته لأنشطة سلبية، وبهذا لم يتمكن من تحقيق أهدافه التي يصبو إليها فقد توفي في سن مبكرة قبل الستين في حالة من الشتات.

لقد اختار الأفغاني باريس مع رفيقه محمد عبده الذي عاش بين سنة 1849 - 1905 كمركز لنشاطهما، حيث بدءا بإصدار «مجلة العروة الوثقى» منها سنة 1889، وبسبب اتجاهه السياسي المتطرف لم يكن محمد عبده على اتفاق تام معه، فقد أخبره بأنهما يضيعان الوقت في النشاط السياسي، وكان الأجدر بهما إنشاء مؤسسات تعليمية حتى يتمكنا من تعليم أبناء المسلمين في سلام. إلا أن الأفغاني رفض الفكرة وقال له: «إنما أنت مثبط». مما جعل محمد عبده يقطع تعاونه مع الأفغاني ليعود إلى مصر.

لقد اختار عبده النشاط الهادئ ذو المعيار المنخفض، أما الأفغاني فقد اعتبر أسلوب العمل الصاخب على أنه الطريق الصحيح، لقد اعتبر النشاط السياسي هو العمل ذو المعيار العالي، أما تعليم الناس فهو نشاط ذو معيار منخفض. التعليم يجعل التخطيط عل مستوى الحقائق والواقع، وهذا يجعل من يخطط يضع نفسه خارج الضوء مما يجعل بدايته لا تجذب انتباه الناس أو اهتمامهم، فهم لا يعتبرونها من الأعمال العظيمة. وإن العكس هو الصحيح بالنسبة للأنشطة

ذات المعيار العالي فإن المرء يحتاج إلى إعداد خطط ضخمةٍ يسوق ويروج لها بالصخب والضجيج وبصوت مرتفع، وهذا يعطيه الفرصة ليشتهر ويبرز أكثر فأكثر، أما بالنسبة للنتائج، فالأنشطة الصامتة هي التي تعطي الثمار، أما الأخرى فلا ثمار لها، حيث يتمسك المرء في الطريقة الأولى بالمنهج السلمي، أما الثانية فلا يلبث من يسلكها أن ينخرط في صراعات ومواجهات تؤدي إلى العنف.

إن أعظم المصادر البشرية هم اولئك الذين يولدون بصفات خارقة وميزات راقية كالنبوغ والذكاء الخارق والإبداع والعزيمة والحزم، إلا أنه من المحزن جدا أن يصبح هؤلاء ضحية مغامرات خاطئة، لأنهم لن يرضوا بأي نشاط أقل من المعيار العالي، لذا تجد أن خططهم لا تعتمد على الواقع مما يؤدي بهم إلى الفشل وبهذا فلم يستطيعوا نفع أنفسهم أو غيرهم.

إن التواضع من نتاج الطريقة السلمية، وعلى العكس من ذلك فإن العنف ينتج التكبر، فالطريقة السلمية تجعل المرء يبني شخصيته ويطورها وهي الطريقة الوحيدة المثمرة والتي تعطي نتائج إيجابية، أما العنف فيمحق شخصية الفرد ويقضي على كل ما يملكه من إمكانات. إن العمل في صمت يؤدي إلى النجاح، أما الأسلوب الصاخب فلا يؤدي إلا إلى تفاقم الأوضاع، والسبب في ذلك هو أن العمل في صمت يسير وفق السنن الكونية، والنجاح في هذا العالم لا يكون إلا بإتباع هذه السنن.

ولنأخذ الشجرة كمثال حيث تبدأ ببذرة صغيرة تنمو لتصبح شجرة كاملة خلال عشرين إلى ثلاثين سنة، فنموها يكون تدريجيا،

والنمو التدريجي يقابل العمل الصامت، ولو أن الشجرة خالفت سنن الكون فلن تصبح شجرة ناضجة، كذلك الأمر بالنسبة للفرد فلو أنه لم يتبع سنن الكون وسار ضدها فلن يحقق أي نجاح في هذا العالم.

إن الحقيقة هي أن الإنسان يقوم بأنشطة داخل المجتمع في إطار النظام الاجتماعي، لذا يتوجب عليه أن يأخذ في الاعتبار العوامل الخارجية التي تقع خارج نفسه، وعند قيامه بهذا يكون تلقائيا قد سلك أسلوب العمل الصامت.

وفي المقابل فإن من يعيش داخل نفسه ولنفسه ولا يعطي أي اعتبار للعوامل الخارجية مصيره بالفشل، وهذا لأن بلوغ النجاح لا يكون إلا عند العمل كما تعمل العجلات المسننه، فعندما يعمل ترسين معا في تناغم فإن الآلة ستعمل بفاعلية، أما إذا تعطل أحد الترسين فستتوقف.

هذا هو سر النجاح في الحياة، فهؤلاء الذين لا يعطون أهمية لهذا المبدأ هم من يقعون ضحية العنف، إن إتباع العنف إنما هو نتيجة لقلة الإدراك، ولو أن المرء نأى بنفسه وخرج بها من دائرة عدم الإدراك فلن يسلك طريق العنف أبدا.

**■ الطريق إلى السلام**

إن كل الموجودات في الكون يعتمد بعضها على الآخر فهي ليست مستقلة بدأتها، وهي في علاقة لصيقة، بحيث أن كل واحدة في حاجة إلى الأخرى حتى يكتب لها البقاء، إن سنن الكون التي تحكم هذه العلاقة المتبادلة هي في الغالب تسري على المجتمعات البشرية كذلك، حيث أن الأمور العظيمة تحدث عندما يقوم كل فرد بمهمته بحيث لا يتدخل في مجال الآخرين.

إن الأنشطة الحربية عند المسلمين اليوم في كل مكان تقريبا بما في ذلك العالم الإسلامي، وإذا كانت الدولة الإسلامية يحكمها حكام مسلمون ولها إدارة إسلامية فلماذا تحدث فيها هذه الأنشطة؟ إن السبب من وراء ذلك هو أن المسلمين لا يسيرون وفق هذا المبدأ الكوني السالف الذكر.

ولإيضاح الأمر سأسرد مثالين أثنين عن العالم الإسلامي: لقد كانت نهاية حكم الملك فاروق لمصر سنة 1952، وأصبح جمال عبد الناصر رئيسا لها، وفي عهده تبنى الإخوان المسلمون موقف المعارض، فأصبح هناك صراع للقوة بين الجانبين ولتهدئة الوضع قدم جمال عبد الناصر عرضا جيدا للإخوان، إلا أن السيد قطب زعيم الإخوان في ذلك الوقت رفض العرض، فقد تم عرض هذه الحقيقة في مذكرات كلا الزعيمين حسن البنا والسيد قطب.

لقد حاول جمال عبد الناصر اقناع السيد قطب بمنحه المنصب الذي يختاره ماعدا الملك، حيث قال له«سنمنحك أي منصب تختاره في الحكومة مثل وزارة التعليم أو وزارة الثقافة والفنون أو غيرها، إلا أن السيد قطب رفض كل العروض».[1]

يعتبر السيد قطب من أهم القادة في العالم العربي، وإن قبوله بأي عرض من العروض السابقة كان سيفتح أمامه فرصة عظيمة جدا، فقد حدث مثل هذا الأمر في مصر القديمة اذ تم عرض إدارة الزراعة على النبي يوسف عليه السلام فقبلها، وحدث الأمر نفسه في مصر اليوم إلا أن السيد قطب رفض وزارة التعليم، ولو أنه قبل الأمر لكان خيارا عظيما، ولاستطاع أن يضع خططا لتعليم وتثقيف

شعبه، ولو فعل ذلك لكانت له فرصة التأثير على الجيل الجديد في مصر، فقد كانت أمامه فرصة كبيرة ليبرز فيها الإسلام الذي أراده عن طريق التعليم أفضل بكثير من الأسلوب الذي تبناه . لقد حدث الأمر نفسه في باكستان أثناء حكومة الجنرال أيوب خان حيث أصبح رئيسا لباكستان سنة 1958 . كان السيد أبوالأعلى المودودي وحزبه ناشطين في العمل على أسلمة الحكومة الباكستانية، فقد كانت الأحداث نفسها تجري في نفس الوقت في كل من باكستان ومصر. فقد كتب السيد والي رضا ناصر من الجماعة الإسلامية في باكستان في بدايات الثورة الإسلامية قائلا:

«خلال رحلة الجنرال أيوب خان إلى لاهور سنة 1962 استضاف المودودي في القصر الرئاسي واقترح عليه أن يترك السياسة للسياسيين ويتفرغ للدراسات الدينية، ولأجل دعمه وتشجيعه عرض عليه منصب رئيس الجامعة الإسلامية بهاولبور إلا أن المودودي رفض ذلك».[2]

لقد كان هذا العرض فرصة ذهبية للمودودي، ولو قبل العرض لاستطاع أن ينظم التعليم في كل أرجاء باكستان وتمكن من إعداد أدمغة وعقول الأجيال الجديدة، والتي بدورها ستساعده كثيرا في إصلاح البلاد، إلا أنه رفض العرض وبهذا ضاعت فرصة عظيمة.

إن أعظم خسارة منيت بها المجتمعات الإسلامية اليوم هو تخلفها في السباق العالمي في مجال التعليم، وإن المسئولية بكاملها تقع على عاتق القادة الإسلاميين حيث أنهم لم يستطيعوا أن يميزوا بين الفرص العظيمة التي منحت لهم وفشلوا في استغلالها والاستفادة منها بالتدبر والحكمة الحسنة. لماذا انخرط المسلمون في ممارسة

العنف في العصر الحديث؟ هناك سبب وحيد وراء ذلك وهو تخلفهم وتأخرهم في مجال التعليم الحديث، فقد فشلوا في اكتشاف طبيعة العصر الحديث الذي يعد عنصرا داعما ومساندا للإسلام، إلا أنهم وبسبب تخلفهم في مجال التعليم اعتبروه لعنة على الإسلام، هذا هو السبب الأساسي الذي جعلهم يفشلون في الانخراط في التخطيط السلمي، وانخرطوا بدلا من ذلك وبدون أدنى حكمة في ثقافة العنف، ولن يكون لهم مستقبل جديد ينتظرهم إلا إذا أدركوا هذه الحقيقة.

**■ الحروب الصليبية كنقطة تحول**

لقد كانت الحروب الصليبية من أطول الحروب، فقد استمرت متقطعة طيلة قرنين من الزمان، حيث بدأت سنة 1095م ولم تنتهي إلا سنة 1291م وكان أحد أطرافها الحكام المسلمون، أما الآخر فهي الدول الأوربية المسيحية، حيث شارك فيها أغلب القادة الأوربيين في ذلك العصر، وبعد حروب دامية دامت قرابة مائتي سنة كان النصر العظيم حليف المسلمين والهزيمة النكراء للمسيحيين. لقد كان القرن الرابع عشر الميلادي في وضع يجعل المسلمين يشعرون بلذة النصر في كل الدول الإسلامية في أفريقيا وآسيا، فحق لهم أن يحتفوا بهذا النصر العظيم، أما الدول الأوربية المسيحية فلم يبقى أمامها إلا أن تتجرع طعم الهزيمة النكراء، ولكن الوضع اليوم يختلف تماما فمسلمو هذا العصر يعانون من العقلية المنهزمة، وفي الجانب الآخر الدول الأوربية المسيحية بما في ذلك أمريكا فقد ظهر تفوقها على الدول الإسلامية.

- لماذا هذا الفارق العجيب بين هذين الوضعين؟

إن السبب في ذلك أن الحروب الصليبية كانت نقطة تحول لكلا الطرفين، بالنسبة للمسلمين فقد اعتبروا الانتصارات الحربية على أنها أعظم أسباب النجاح، أما الدول الأوربية المسيحية فقد أجبروا على تطوير عقلية مختلفة تماما، فعندما فشلوا في تحقيق النصر في ساحات القتال أدركوا أنه يتوجب عليهم توجيه طاقاتهم للعمل السلمي، واعتبروا ذلك الأمر على أنه «الصليبية الروحية». من وجهة نظري الافضل ان تسمى ب «الصليبية السلمية»، فقد بدأت بعدها عملية التقدم الصامتة تشق طريقها تدريجيا في أواسط الدول الأوربية المسيحية في صورة الأنشطة البناءة مثل التعليم والبحث العلمي، سعوا خلالها للحصول على كل الكتب المتوفرة تقريبا في ذلك الزمان وترجمتها إلى اللغات الأوربية، وقد شملت أبحاثهم كل المجالات وكان أهمها مجال الطبيعة.

لقد استمرت عملية التقدم في مجال الأبحاث السلمية فترة طويلة من الزمن، وهي المتعارف عليها بعصر النهضة الأوربية، وكان ذلك خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي حيث استمر التطور في العلوم ومجالات المعرفة الأخرى دون انقطاع حتى ظهور العالم الجديد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والذي يختلف اختلافا جذريا في كل المجلات عن العالم القديم، إن النقطة الأعلى في التطور الحضاري الأوربي هي الثورة التي حدثت في معيار القوة لأول مرة في التاريخ البشري، ففي العصر القديم كانت الحرب هي المعيار للحصول على القوة أما اليوم في العصر الحديث ومن الأصح أن نطلق عليه عصر العلم أصبح السلام هو المعيار للحصول على القوة . فقد حصلت الدول الإسلامية خلال الحروب الصليبية على

النصر عن طريق الحرب، أما اليوم في العصر الحديث فإن الدول المسيحية قد وجدت نصرا أعظم بكثير بإتباع إستراتيجية السلام.

إن الكثير من المسلمين يفكرون على أساس العنف، ففي مناطق كثيرة تجدهم ينشرون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ثقافة البندقية والمتفجرات، وبالرغم من التضحيات العظيمة ولفترة طويلة من الزمن لم يتمكنوا من الحصول على أي نجاح، وفي المقابل فإن تقدم الدول الغربية لا يزال مستمرا ولم يتأثر.

- ما السبب وراء الفشل التام لأنشطة العنف عند المسلمين اليوم؟

ليس وراء هذا إلا سبب وحيد وهو إصرارهم المستمر في استخدام الطرق والأساليب القديمة في العصر الحديث، وبمعنى أخر الإصرار على ثقافة الحرب في عصر السلام، أما المسلمون فإنهم يرجعون سبب فشلهم إلى تآمر الأمم الغربية، إلا أن السبب وراء ذلك يقع على عاتقهم أنفسهم أي أنه سبب داخلي، وهو عدم إدراكهم للتغيرات التي حدثت في العصر الحديث مما جعلهم يتبنون سياسة مضادة للعصر.

لقد آن الأوان أمام المسلمين في القرن الواحد والعشرين ليلقوا بثقافة البندقية جانبا فلم يبق أمامهم أي خيار آخر.

إن الأهمية العظمى بالنسبة لتاريخ الأمم تكون للأحداث التي تمثل نقط تحول، لذا نجد أن السبب الرئيسي من وراء تخلف المسلمين في العصر الحديث هي الحروب الصليبية حيث كانت نقطة تحول بالنسبة لهم، فقد جعلتهم يعتقدون أن أعظم أسباب النصر هي الحرب، ومنذ ذلك أصبح تفكيرهم يسير على هذا النمط، أما بالنسبة للأمم الأوربية المسيحية فقد كانت أيضا نقطة تحول ولكن

بطريقة مختلفة تماما، نتيجة للظروف التي ضغطت عليهم مما جعلهم يسلكون نهج السلام واستمروا على ذلك لفترة طويلة .

إلا أنهم استطاعوا في النهاية أن يغيروا معيار القوة بعد نضال طويل وصراع شاق، فقد كان المعيار في الزمن القديم للقوة العسكرية أما في الوقت الحالي فإن السلام في حد ذاته قد أصبح مصدرا للقوة.

إن بداية عصر جديد بالنسبة للمسلمين يمكن أن تظهر للوجود إذا أدركوا هذه الحقيقة وعملوا على أساسها ووطنوا أنفسهم على إتباعها.

**■ نموذج الفاتيكان**

تعتبر الفاتيكان مدينة مستقلة تحيط بها مدينة روما من كل الجهات وتصل مساحتها حوالي 110 هكتارا كما يبلغ عدد سكانها حوالي 800 ألف نسمة. فهي أصغر دولة مستقلة في العالم من حيث المساحة وعدد السكان، وكان ظهورها للوجود عام 1929 م بعد معاهدة (لاثيران) بين الحكومة الإيطالية والأبرشية المقدسة.

لعقود طويلة اعتبر البابا المنتخب على أنه الملك الغير متوج لأوربا المسيحية، حيث لا يزال قصره موجودا إلى اليوم في روما، وقد حدث في الفترة المتأخرة ظهور خلاف كبير بين الكنيسة والعلمانية، فقرر البابا في الأخير أن يترك منصبه السابق ووافق على أن تبقى سلطاته محدودة ضمن نطاق الفاتيكان التي اعترفت بها الحكومة الإيطالية، وبالرغم من صغر المساحة التي يحكمها إلا أن سلطته الدينية في النهاية استمرت على إيطاليا وامتدت لتصل إلى مناطق عديدة في العالم.

إن تاريخ الفاتيكان يقدم لنا مبدأ هاما جدا وهو إن لم تستطع فرض سيطرتك على الكل عليك أن ترضى ولو بجزء بسيط، إن على المسلمين الذين يخوضون حروبا شرسة في العديد من الدول أن يتحينوا فرصة النجاح في المجالات المختلفة الأخرى على نفس الغرار، بأن يكونوا مستعدين لقبول مثال الفاتيكان.

لنأخذ مثلا حالة صدام حسين (1937 - 2006) حيث حكم العراق لحوالي 21 سنة، وفي نهاية حكمه ظهرت أمامه ظروف غير مواتية وأصبح من الواضح أنه لن يتمكن من العودة لسابق منصبه، إلا أنه استمر في قتال لا طائل من ورائه حتى العشرين من سبتمبر 2006 حيث تم إعدامه، لقد كان صدام شخصا مثقفا ومتعلما ولو أنه استفادا درسا من التاريخ لأمكنه أن يبقى في العراق كوضع الفاتيكان. حيث كان يملك في ذلك الوقت أكثر من ثمانية قصور حيث أحصت الأمم المتحدة ثمانية قصور رئيسية على شكل مجمعات تحوي أكثر من ألف مبنى، من بينها قصور فخمة ومساكن للضيوف ومجمعات مكاتب وغيرها، تصل مساحتها في مجموعها إلى 7900هكتارا.

إن مساحة الفاتيكان لا تتعدى 110 هكتارا أما قصور صدام فتصل مساحتها إلى 7900هكتارا، لقد كان بإمكان صدام أن يؤسس مملكة مسالمة خاصة به لو أنه تخلى عن السلطة السياسية وأسس في قصوره الثمانية أعظم جامعات العالم، حيث تعد جامعة ستاندفورد الأولى في العالم على مساحة تصل 8000هكتارا، ولو غير صدام تفكيره من السياسة إلى العمل السلمي لكان بإمكانه أنشاء جامعة على مساحة 7900هكتارا يمكن اعتبارها من أكبر جامعات العالم.

لقد كان صدام مهووسا بالسلطة السياسية ولهذا لم يتمكن من فهم أهمية العمل الغير سياسي الذي كان في حدود قدرته وإمكانياته، هذا هو وضع جميع القادة الإسلاميين اليوم فهم مهووسون بالقوة السياسية بطريقة لا تصدق، وبما أن السلطة السياسية ليس لها حدود فلن يتمكنوا من تحقيق أهدافهم من خلالها، وبهذا فقد أصبحوا مشتتين إلى أقصى الدرجات، وهذا ما يحدث للإنسان عندما يخالف السنن الكونية.

لقد دخل باراك أوباما البيت الأبيض في 20 من شهر يناير 2009 م كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية ثم أعيد ترشيحه لجولة ثانية في نوفمبر 2012م وأدى اليمين القانوني في 20 من يناير 2013م، كان يأمل بشدة في بداية حكمه في أن يحدث تغيرات جذرية في البلاد خلال فترة رئاسته، إلا أنه فشل فيما كان يطمح له رغم استمراره لفترتين، حيث عبر عن ذلك في 18 من يناير 2015 فقال:

**«إنني محبط ومشتت، وأنتم كذلك يحق لكم أن تكونوا محبطين، لأن الكونغرس لا يعمل كما كان يجب، فمواضيع كثيرة لم يتم حتى النظر فيها، إن الناس لا يهمها أن تنجز الاعمال أكثر من اهتمامها بالانتصارات السياسية وإن السبب وراء ذلك ليس لأن أعضاء الكونغرس هم أشخاص سيئون فهناك الكثير من الخيرين الذين يبذلون قصارى جهدهم والمخلصون والمتفانون، ولكن المحفزات داخل النظام بنيت على أساس المكافأة العاجلة وعلى أساس سياسة الاستقطاب، كما أن المكافأة لم تكن حقيقية بل رمزية، وبالرغم من نضالي وكفاحي ضد ذلك إلا أن الأمر أستمر على حاله)».**[1]

- إن هـذه الكلمة تقدم درسـا عظيما لمن ينشط من المسلمين ويناضل من أجل نفس الهدف الغير حقيقي، ألا وهو إحداث التغيير من خلال القوة والسلطة السياسية، فغالبية القادة الإسلاميين مهووسون بالسلطة السياسية حيث تجدهم في سعي حثيث للحصول على المناصب السياسية ليتسنى لهم إحداث التغيير، إلا أن التاريخ يخبرنا أن هذه حالة من تضخيم ما يتوقع من السلطة السياسية، فالقادة السياسيون لم يتمكنوا من إحداث التغيير المنشود عند وصولهم إلى السلطة.
- إن التاريخ يخبرنا أنه لا أحد أمكنه إحداث التغيير عن طريق النشاط السياسي، فطبقا للسنن الكونية فإن التغيير يأتي دائما عن طريق النضال والكفاح السلمي في المجالات الغير سياسية.
- لقد دأب صدام حسين خلال حرب الخليج سنة 1991م على استخدام كلمة «أم المعارك» إلا أنه في نهاية الأمر لم تكن هناك إلا الخسارة التامة، ولو أنه حول قصوره الثمانية إلى مجمع تعليمي لبقيت هذه المؤسسة حية إلى يومنا هذا.
- إن التاريخ يخبرنا أن الحرب مثل شجرة لا جذور لها ولا أساس فبإمكان أي عاصفة أن تقتلعها بالكامل، أما الخطط السلمية فهي كالشجرة الشامخة التي لها جذور قوية تثبتها في الأرض فلا تتأثر بالعواصف.
- إن التخطيط الحربي لم يتوج أبدا بالنجاح على مدى التاريخ، أما التخطيط السلمي فدائما ما يؤدي إلى النجاح، إن هؤلاء الذين لا يتعظون بتجارب التاريخ إنما يختارون طريقا لم تكن لتؤدي

يوما ما إلى النجاح سواء في الماضي أو المستقبل، فالحرب لا يجنى منها إلا الخسارة والدمار، أما الخطط السلمية وبكل تأكيد فليس من ورائها إلا الفوز والنجاح.

- إن قصة القادة الإسلاميين في أمتنا مثل قصة صدام حسين، فبإمكان كل واحد منهم أن يؤسس إمبراطورية مسالمة صغيرة أو كبيرة باستغلال الإمكانات المتاحة مهما كانت قليلة، إلا أنهم جميعا لم يختاروا إلا العنف، وبهذا فلن يؤدوا إلى القضاء على أنفسهم، بل والآخرين أيضا .
- إن الزمن قد أتى في القرن الواحد والعشرين ليضع حدا للعنف، ومنح خططا للسير عليها في المجال السلمي، وإن الفشل حليف هؤلاء الذين يختارون السير على طريق العنف إن لم يستفيدوا من دروس التاريخ فالأمر واضح وجلي.

### ■ النافع للنفس وما يضر بها

لقد عبرت الممثلة الهندية المشهورة بريانكا كوبرا في معرض الحديث عن نفسها فقالت «لقد قضيت حياتي متقمصة لشخصيات عديدة مختلفة حتى أنني لم أعد أميز شخصيتي الحقيقة « .[1]

إن العصر الحاضر هو عصر التخصص، والحصول على تخصص ما يعني العيش من أجل الآخرين، لذا نجد في الواقع أن كل فرد يعمل من أجل الآخرين حتى أنه لا يميز شخصيته الحقيقية، فعلى سبيل المثال فإن الممثل يعيش من أجل المشاهدين، والتاجر لأجل زبائنه، وكذلك المحامون والسياسيون لمن يصوت لهم، والموظفون من أجل رؤسائهم في الشركات وهكذا .

فالكثير من الناس يعيشون حياة لا تمثلهم، لأنها بالكامل من أجل الآخرين، إنها أعظم خسارة للفرد بكل تأكيد لانه لدلك السبب يبقى غير مدرك لذاته ويعمد عادة الى تقييم داته ويقيمها طبقا لوجهة نظر الآخرين وليس طبقا لوجهة نظره هو. فلا يتمكن من إدراك قدراته الحقيقة حتى يموت في النهاية وهو في هذه الحالة من عدم الإدراك.

إن أسوأ الأوضاع، حالة هؤلاء الذين انخرطوا في أنشطة العنف حيث تورطوا في ثقافة البندقية والتفجير، وهذا النشاط يمكن وصفه بتدمير الدات. فمن هم يا ترى هؤلاء الذين يمارسون هدا النوع من الانشطة؟ إنهم أشخاص تورطوا في محاربة أنفسهم في حقيقة الأمر باسم القضاء على الأعداء، فيكون القتل قتلا نفسيا أحيانا ويصل احيانا أخرى لقتل النفس.

عندما نتأمل العصفور واقفا فوق الشجرة ندرك بكل تأكيد أنه خلق رائع وبديع - فما أروعه من خلق صمم بذكاء خارق — إن الطائر مصمم بالكامل طبقا لما أراده الله له، فهو منشغل دائما بما خلق من أجله.

إن حالة الإنسان أحسن بملايين المرات من الطائر من حيث صفاته، فهو من أعظم المخلوقات شكلا، فهذا الجانب من شخصية الإنسان يظهر لنا أنه قد خلق من أجل هدف أسمى وأعظم، وبما أن الأمر كذلك، فعلى الإنسان قبل كل شيء أن يكتشف نفسه ثم يخطط طبقا لهذا.

إن العنف والإرهاب أشياء تناقض خطة الله في خلق الإنسان، لذا فالانخراط في العنف يجعل الإنسان بدلا من استغلال طاقاته وإمكاناته ينخرط في قتل الآخرين وقتل نفسه، لذا يمكن أن نطلق على

الذين يمارسون أعمال العنف أنهم يقومون بأنشطة مضادة لأنفسهم.

- لذا فلو صنفنا الناس طبقا لهذا، فسنميز نشاطاتهم إلى ثلاثة خانات:

أنشطة مضادة للنفس، وأنشطة لا تتعلق بالنفس، وأخرى نافعة للنفس. وجميع الناس يندرجون تحث هذا التصنيف. فالإرهابيين يصنفون في خانة الأنشطة المضادة للنفس، لأنهم يقضون على أنفسهم ويحطمونها. فلو أن شخصا أهدى أحدهم هاتفا خلويا عالي الجودة فلن يقوم برميه أو تحطيمه، فلا أحد يرضى أن تعامل هديته بهذا الشكل، إن وجود الإنسان أعظم هدية من الخالق وأن هؤلاء الذين ينخرطون في أعمال العنف، ما يقومون به إنما هو سوء اهتمام وتقدير لهدية الخالق حيث يحطمونها بذل استغلالها في الغرض الصحيح الذي جعلت من أجله.

- **أما التصنيف الثاني** هي الأنشطة التي لا تهم النفس، فهؤلاء لا يقدرون استغلال الإمكانات التي منحهم الله، فاستعمالهم للهدية التي منحهم الخالق لا يرضيه .

- **أما التصنيف الثالث** فهم الذين يعملون على تزكية أنفسهم وينشطون لصالحها، حيث يؤدون واجباتهم وينشطون طبقا لخطة الله في الخلق، فهم أولئك الذين استطاعوا أن يكتشفوا أنفسهم والعالم من حولهم، فقد تمكنوا عن طريق الدراسة والتفكر أن يدركوا ويفهموا الحقائق العليا، وبهذا استطاعوا أن يعدوا أنفسهم الإعداد الصحيح لأجل الهدف والغاية السامية التي خلقوا لأجلها.

إن هذه المجموعة من الخانة الثالثة هم بشر بما في الكلمة من معنى، حيث يضعون خططهم طبقا لما أراده الخالق، فيبرزون ما في داخلهم من إمكانات ويترجمونها إلى وقائع ملموسة، وبهذا يطورون من ذواتهم ويقيمون أنفسهم طبقا للمعايير التي وضعها الخالق. فهؤلاء هم من يستحقون الإنعام الإلهي الأبدي يوم القيامة، وهذا يجعلهم في نمو وازدياد دائم كأشجار الله في هذا العالم. ويوم القيامة سيصبحون جزءا جميلا من حدائق الله.

أعرف شخصا لم يتمكن من الاستفادة من تعليمه العالي، وفي النهاية قرر أن يقضي بقية حياته في وظيفة بسيطة، فكان غالبا ما يصرح لصديق له وهو مستاء فيقول:» إن المرء يجد حياته مرة واحدة.". إن هذا الأمر يعني أن حياة الإنسان منحة وهدية غالية من الخالق، فالواجب استغلالها والاستفادة منها لأنها لن تتكرر مرة أخرى، إن الإنسان لا يدرك قيمة التوبة إلا بعد الموت، فالموت يأتي بمرحلة اللاعودةز

إن هذا المبدأ يهم كثيرا هؤلاء الذين ينخرطون في أنشطة العنف وينغمسون في هذه الثقافة أكثر من غيرهم، حيث يتورطون سريعا في قتل أعداد من الناس وقد يتعرضون للقتل أيضا، فلا يستفيدون من هذه المنحة الغالية التي منحهم الله ولا هم يتركون الآخرين يستفيدون منها. سيدرك هؤلاء بعد الموت الفرصة الذهبية التي منحهم الله إياها في صورة الحياة إلا أنهم عملوا على إنهاء حياتهم دون استغلالها والاستفادة منها حق الفائدة، فلن يبقى أمامهم يوم القيامة إلا الندم الشديد أبد الآبدي.

إن هذا إنذار شديد لهم، لو أنهم أدركوه لكان تحذيرا لهم حتى يتوقفوا عن ممارسة العنف وفي الحال، ويعملوا على تغيير أنشطتهم إلى الأنشطة السلمية ليبلغوا الغاية السامية في هذه الحياة.

**■ ثقافة الإرهاب**

لم يكن الإرهـاب منتشرا بهذا الشكل في العصور القديمة لأن الأسلحة كانت تصنع على نطاق محدود، ففي الغالب كانت الإمبراطوريات والممالك تصنعها لاستعمالها في الحرب، فثقافة العنف ظاهرة حديثة حيث أصبحت منتشرة بعد الثورة الصناعية العظمى في مجال صناعة الأسلحة، فقد أصبحت متوفرة بكل يسر.

إن استطلاعا حديثا يبين أن هؤلاء الذين ساهموا في هذه الصناعة التي تؤدي إلى قتل الناس عاشوا نهاية حياتهم في حالة من الشتات والتوتر العميق، فقد كانوا جميعا يطرحون على أنفسهم سؤالا واحدا وهو أنهم لماذا ساهموا في هذا الشر العظيم؟ وكلهم قضى نحبه دون أن يجد جوابا عليه.

أوضح مثال على هذا مصمم الأسلحة الروسي مشيل كلاشينكوف الذي عاش بين 1919 - 2013، حيث اشتهر بتصميمه للبندقية التي عرفت باسمه « بندقية كلاشنكوف» والتي تعد من أشهر الأسلحة في العالم والأكثر انتشارا، إذ يقدر عدد ما بيع منها بحوالي 100 مليون قطعة.

لقد كتب كلاشنكوف رسالة قبل وفاته بستة أشهر وجهها إلى رئيس الكنيسة الأرتودكسية الروسية الباترياك كريل يعبر فيها عن مدى معاناته من مشاعر القلق التي تنتابه، لقد نشرت الرسالة في

الصحيفة الروسية أزفيستيا في يناير 2014... ذكر في رسالته أنه يعاني آلاما نفسية وروحية لا يمكن تحملها، فيما أنه سيكون مسئولا عن القتل الذي يتسبب فيه السلاح الذي صممه:

إنه يراودني نفس السؤال الذي لا أجد له جوابا. لو أن السلاح الذي صممته قد تسبب في قتل الناس فهل سأكون أنا المسيحي الأورثوذكسي ملاما على قتلهم؟ وأضاف قائلا:

**« كلما تقدمت بي السن ازداد هذا السؤال تجذرا في أعماقي وعقلي، وازددت تساؤلا، لماذا ترك الله الإنسان يتمادى في رغباته الشيطانية كالحسد والجشع والطمع والطغيان».**[1]

هذا الأمر نفسه يحدث للإرهابيين حيث أن الإرهاب يبدأ بالكراهية وينتهي بالتوبة والندم، فلو تمكنا من أن نسأل الذين ينفذون العمليات الإرهابية الانتحارية فسيعترفون أنهم قد قاموا بجريمة نكراء، ولكن للأسف لن تسنح لنا الفرصة لنتحدث إليهم.

هناك بعض الأمثلة لمنفذي العمليات الانتحارية الذين لم يموتوا أثناء تنفيذهم لهذه العمليات والذين عانوا كوابيس تأنيب الضمير، وأحد هؤلاء الجميكي لي بويد مالفو والذي نفذ في سنة 1985 عملية انتحارية مع جون ألين محمد فقد نفذوا عمليات قتل في بلت وي بواشنطن بساحة الميتروبوليتان.

في شهر أكتوبر 2002 صرح في رسالة له «أنه لا يزال في صراع داخلي يشوبه الخجل والشعور بالذنب والندم، ويتساءل إن كان بالإمكان شفاءه من هذه المعاناة، شهد بذلك الأخصائي الاجتماعي الذين كان يساعده بكل ما أمكن، حيث قال: « أنه كان دائما ما يقوم

برسم صورته الشخصية يظهر فيها وعيناه تذرفان الدمع «.[2]

إن الإرهاب دائما ما ينتهي بالندم والتوبة ذلك أنه يحمل صفات تضاد النفس البشرية، فبعد أن يتورط المتطرف في عمله يدرك أنه قد أخطأ، ليس كل الإرهابيين يفكرون بهذا التفكير قبل العملية، فالقليل منهم من يفعل ذلك فيترك الإرهاب ليمارس النشاط السلمي، إن الإرهاب لا يزال منتشرا، ذلك أن المتطرفين لا يفكرون في الحدث الذين هم بصدد القيام به، ولو أنهم أدركوا نتائج عملهم قبل حدوثه فلن يسيروا أبدا على هذا النهج، وسيلقون ببنادقهم ومتفجراتهم جانبا ليتجهوا فورا إلى النشاط السلمي.

إن الإرهاب عمل مناف للفطرة، فلا الضمير ولا الأخذ بالأسباب يمكن أن يقره أبدا، في الغالب فإن الشخص الذي يتأثر عاطفيا هو من يقوم بذلك إن التعليم التقليدي والغير تقليدي يعتبر كابحا للإرهاب ولو كان هناك إرهابيون متعلمون فغالبا ما يقومون بالأعمال التقنية والتخصصية، وهم أشخاص لم يتمكنوا من إنهاء تعليمهم على الوجه الأمثل.

لأجل إنهاء الإرهاب يجب التركيز على التعليم والدورات التعليمية بدلا عن التدريب على السلاح، في الحقيقة إن القنبلة السلمية لها تأثير كبير على المدى البعيد أكبر بكثير من قنبلة الإرهابي.

### ■ تجربة شخصية

لقد ولدت مسالما، فأنا نباتي وحياتي حافلة بالأحداث وكلها لها علاقة مباشرة أو غير مباشر بطبيعة حياتي المحبة للسلام، وهنا أحب أن أسرد قصة حدثت لي ولا تزال ماثلة أمامي إلى اليوم،

ففي سنة 1984 قمت بزيارة لأخي الأكبر في مدينة اللّه أباد في الهند، وقد كانت اهتماماته مختلفة عن اهتماماتي فقد كان يحتفظ بندقيتين مرخصتين للصيد، وكان كثيرا ما يخرج في رحلات صيد مع أصدقائه، فأعد لرحلة أثناء زيارتي له، وطلب مني مرافقته فيها مع أصدقائه، لم يكن الصيد من الأشياء المقبولة بالنسبة لي أبدا ولولا إصراره لما كنت لأوافق على الإطلاق .

عندما وصلنا إلى أطراف مدينة اللّه أباد مستقلين سيارتين، كان المكان عبارة عن أحراش مليئة بأنواع عديدة من الطيور تحط فوق قمم الأشجار، وكان أخي يبحث عن صيد نوع خاص من طيور الببغاء يسمى «هلاك» باللغة المحلية، وعندما ترجلوا للصيد تنحيت جانبا لأتجنب المشهد، إلا أن أخي أقترب مني وناولني بندقية من عيار 12 محشوة وألح علي بقوة للقيام باصطياد الببغاء، فوقفت تحت أحد الأشجار وشاهدت طائر الببغاء واقفا على أحد الأغصان فصوبت نحوه وعندما كان في المرمى ولم يبقى علي إلا سحب الزناد جال فجأة بخاطري السؤال التالي : لماذا علي قتل هذا الطائر ؟ فأجاب ضميري في الحال أن ليس لدي الحق في قتله. وحين أدركت ذلك لم أستطع سحب الزناد وقمت بإعادة البندقية إلى أخي، لقد شعرت بإحباط شديد مما جعلني أترك المكان في الحال وقفلت راجعا إلى مدينة اللّه أباد وحيدا مستقلا الحافلة.

إن ثقافة العنف في ظاهرها موجهة ضد شخص آخر، إلا أنها في الحقيقة موجهة ضد الحق في حد ذاته، إن من يحاول قتل الآخرين لا يدرك الحقيقة الخطيرة وهي أن ملك الموت يقف خلفه، فعندما يقدم على القتل فإنه عاجلا أم آجلا سيقع تحت قبضة ملك الموت الذي

يأخذ به إلى رب العالمين ليحاسب على أعماله...لو أن من يحمل البندقية ذكر هذه الحقيقة فلا يمكن له أبدا مهما كانت الأسباب أن يقوم بهذا العمل أو أن يسحب الزناد على أحد ما، وسينشغل بالأنشطة السلمية كفاحا من اجل الغاية التي خلقه الله لأجلها.

كلما سمعت أخبارا عن الإرهاب تذكرت الواقعة التي مرت بي في مدينة الله أباد، أعتقد أن الإرهابيين بشر مثلي، لهم ضمير واحساس ووعي مثلي، فلماذا إذا لا يسألهم الصوت الداخلي عما هو الدافع من وراء قتل أمثالهم من البشر؟

لما يقتلون أناسا لم يكونو قد خلقوهم؟ إنهم لا يرضون أن يقوم الآخرون بقتلهم فلماذا يقتلون غيرهم؟ إذا كانت البندقية قد سقطت من يدي عندما حاولت قتل الطائر، فلماذا لا تسقط من أيدي هؤلاء الذين يوجهونها لصدور الآخرين، فهل قلوبهم قدت من حجر؟ إن هذه الأفكار ترهقني وتقض مضجعي باستمرار، لقد توصلت إلى استنتاج وهو أن الإرهابيين قد أصبحوا سلبيين لأن نشاطاتهم قامت على أساس دراسة للأحداث من جانب واحد (دراسة أحادية الجانب)، حيث أحصت تقارير الأخبار قوائم الكتب التي يدرسونها فوجدوا أن غالبيتها تتحدث عن الحرب.

هذا الأمر مؤكد من الوثائق التي جمعت من مجمع أبوتباد التابع لأسامة بن لادن وكان يحوي الكتب التي كان يقرأها هو وجماعته، فكان بعضها عن الحرب الأمريكية ضد الإرهاب لمشيل شوسردوفسكي وأسلحة الغورلا للدفاع الجوي لجيمس كراب تري، و«حرب أوباما» لبوب وودوارد، و«أمريكا وفيتنام» 1787 - 1941

لروبرت هوبكينز ميللر، و«خطوط الدم المضيئة» لفريتز سيرينق مير.

هذا يبين لنا بوضوح أن الإرهابيين قد تشكلوا سلبيا ضد الآخرين، ربما لم يلتقوا بمن يمكنه إعادة تشكيل عقولهم، فلو أنهم قد قابلوا أناسا مثل هؤلاء فإني على يقين أنهم سيعيدون النظر في فلسفتهم، ويتركوا جانبا ثقافة العنف التي يعيشونها... لو أن ضميرهم قد أعيد تفعيله كان من الممكن أن يتركوا البندقية مثل ما فعلت انا.

لدي تجارب كثيرة مشابهة لهذا الأمر، ففي سنة 1973 تم إدراج إسمي ضمن قائمة لدى مجموعة إرهابية، حينها حدث أن دخل مكتبي في نيودلهي شاب في مقتبل العمر وكان لدي حدس أنه كان يحمل مسدسا في جيبه حيث أن يده لم تفارق جيبه أبدا. فكرت لوهلة ثم تقدمت نحوه وجلست إلى جانبه ووضعت يدي على رأسه ثم قلت له: اعتبرني في مكان والدك، لذا فأنا أنصحك أن تلتحق بأحد المدارس ولك على أن أتكفل بكامل مصاريفك حتى تنهي دراستك، لقد بقي صامتا دون أن ينبس بكلمة ثم غادر المكان مطأطئ الرأس. هناك الكثير من الشباب الذين درسوا كتاباتي وتأثروا بها وقرروا أن يسلكوا المسلك السلمي في حياتهم.

إن الإرهابيين في الأساس ليسوا أشخاصا سيئون، بل هم بشر مثلنا تشكلت عقليتهم عن طريق الخطأ، لذا فالواجب علينا أن نوقف تفكيرهم هذا عن طريق الإقناع وإبداء البراهين والحجج. وبكل تأكيد سينتهي الإرهاب بهذه الطريقة.

# الباب السابع

## الإسلام والسلام

# الإسلام والسلام

## ■ الإسلام دين السلام

هناك قاعدتان أساسيتان في الإسلام هما التوحيد والسلام، فالتوحيد يعتبر الأيديولوجية الأساسية للإسلام، فهو المصدر المباشر وغير المباشر

لكل الاعمال في الإسلام، أما السلام فهو الجانب العملي للإسلام، حيث يكون الأساس لبيئة طبيعية تفسح المجال لتمارس عمليا أيديولوجية الإسلام وتعاليمه.

عند دراسة القرآن، فإننا نجد أنه يعطي اهتماما عظيما للآخرة وليس للحياة الدنيا، لأن الحياة الآخرة أبدية، أما الدنيا فإنها زائلة، وطبقا لعقيدة القرآن فإن العمل من أجل الحياة الدنيا إنما هو حاجة، أما العمل للآخرة فهو الهدف، لذا نجد أن الذين قد تأثروا بأيديولوجية الإسلام قد تحول تركيزهم بالكامل إلى الآخرة والجنة.

تبعا لهذا كان من الطبيعي أن تكون أسباب الحرب وما يسعرها كالحسد والثأر والعنف والكراهية أمورا غير مرغوب فيها، فحيثما سيطرت ثقافة الإسلام وحلت فلن يبقى لأسباب الحرب أي وجود، وكان اختيار الناس من تلقاء أنفسهم العيش كمواطنين في مجتمع مسالم.

إن الصراع على السلطة والطمع فيها هو السبب دائما وراء الحروب على مدار التاريخ البشري، وقد وضع الإسلام مبدأ يقوم على أساسه نظام الحكم وهو الشورى، وقد عبرت عنه الآية القرآنية بالتالي:» وأمرهم شورى بينهم « سورة الشورى 42. هذا يعني أن الحكم في الإسلام إنما ينبثق ويخرج من داخل المجتمع ولا يأتي من الخارج، فهو ليس شيئا يتم فرضه من قبل أحد ما، والحديث التالي يبين الأمر:» كما تكونوا كذلك يول عليكم « .[1]

إن أسباب الحروب من أجل بلوغ السلطة دائما تكون رغبة شخصية أو رغبة جماعة ما لإزالة منافسيهم عن السلطة، وهذا ما يؤدي إلى نشوب الحرب بين الطرفين، ولو أن مبدأ أن السلطة ليست أمرا يتم فرضه، وإنما هي شيء ينبثق من داخل المجتمع، فإن أسباب الحرب ستتقلص تلقائيا. فلو أن لأحد ما أفكار لتسيير السياسة، فليس أمامه إلا خيار واحد وهو نشرها سلميا بين أفراد المجتمع وليس فرضها عليهم، وعليه أن ينتظر حتى يقبلها المجتمع تلقائيا. إن فرض الأفكار السياسية ليس حق لأحد.

هناك العديد من الآثار النبوية التي تحث الناس وتأمرهم بعدم الدخول في صراع مع الحكام، ولو أن لديهم شكوى ضدهم فعليهم تغيير الساحة ليصرفوا طاقاتهم ونشاطاتهم في مجالات أخرى غير السياسة. وهناك العديد من الآثار المدونة في كتب الحديث في باب الفتن، وقد لخص الإمام النووي رأي الأمة في هذا الأمر» ليس هناك إلا النصح لإمام ذلك الزمان، أما بالنسبة للخروج عليهم وقتالهم فإنه محرم بإجماع الأمة ولو رأى البعض أنه ظالم أو فاسق».[2]

إن هذا المبدأ لا يعني أبدا ترك السياسة، ولكنه يحمل في طياته حكمة عظيمة، فهو يبين أن الإسلام يفرق بين الأنشطة المختلفة ويفصل بينها ويجعل لكل واحد مجالا لتخصصه، فلو أنك درست القرآن وخاصة الآية 4 من سورة الحج وآيات كثيرة في هذا الجانب، ستجد أن القرآن يفرق بين مجالين إثنين من الحياة : السياسية وغير السياسية، حيث يقترح مجالين للعمل، وطبقا للقرآن فإن واجب الحاكم إيجاد مناخ سلمي يخلق الانسجام داخل المجتمع، أما واجب المصلحين فهو الاهتمام بالأنشطة غير السياسية مثل التعليم الرسمي وغير الرسمي والعمل الدعوي ( تبليغ رسالة اللّه للناس) و أن يغرسوا في أذهان الناس التفكير السوي وغيرها، وبهذا يقوم كل فريق بدوره في بناء مجتمع أفضل ويؤدي كل فريق وظيفته بكل يسر وتنتهي الصدامات والمواجهات . إن مبدأ تقسيم المهام يقضي على أسباب المواجهة والصدام داخل المجتمع، ونتيجة لهذا ينعم المجتمع في انتشار السلام وليس في وجود الحروب. تهدف هذه التعاليم وغيرها كثير، والتي توجد في القرآن والسنة إلى وضع نهاية للحرب والعنف داخل المجتمع، حيث تنشأ بيئة طبيعية مبشرة تنتشر فيها الأنشطة الصحية البناءة.

• الحقيقة هي أن الإسلام هو دين السلام بكل ما في الكلمة من معنى، وليس أبدا دينا يدعو إلى الحرب. فالسلام هو المبدأ الرئيسي في الإسلام، أما الحرب فإنما هي الاستثناء في ظروف نادرة، وفوق هذا، فالاستثناء قد يكون صالحا في العصور التي كانت الثقافة القبلية هي السائدة في العالم، أما هذا العصر فهو مختلف تماما، فنحن نعيش في عصر الديمقراطية وعصر الأمم المتحدة، لذا

فإن مصطلح الحرب قد أصبح مهجورا في القوانين الدولية اليوم، ولو أن حربا قد نشبت في هذا الزمان فهي ضد الطبيعة السائدة، وهي ضد التوازن الكوني .

**■ التكافل قانون الطبيعة**

طبقا للسنن الكونية فإن حياة الناس تبنى على أساس مبدأ التكافل، وأن التباين والتفاوت متوارث في البناء الاجتماعي، ولن يكون المجتمع في سلام وتناغم إلا إذا قبل كل فرد من أفراده هذا التباين والتفاوت مع الحاجة الظاهرة إلى التكافل، حيث يشير القرآن إلى هذا الأمر في الآية التالية من سورة الزخرف 31:» أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ". إن هذه الآية تبين أن التقدير الإلهي يقضي بعدم التماثل بين الناس، ولكن التفاوت أوالتباين موجود، وهذا يتضمن حكمة عظيمة وهي أن يدرك الناس أنه لا أحد يمكنه أن يستغني على الآخرين ويكون مستقلا بذاته، فهو في حاجة إليهم حتى يكمل نفسه وهذا ما تقتضيه الخطة الإلهية في الخلق، وبمعنى آخر على كل فرد من أفراد المجتمع أن يقبل بالتكافل على أنه حالة حيوية لأجل قيام المجتمعات البشرية.

وعلى الناس أن يقبلوا بوجود التفاوت على أنه حقيقة واقعة، وإدراك هذا الأمر وقبوله كظاهرة إيجابية داخل المجتمعات البشرية يضع حدا لعدم الاستقرار الاجتماعي. فالواجب علينا أن نبين أن هذا الأمر يسير طبقا للخطة الإلهية في الخلق، وهذا ما يسير عليه

الكون بكامله، إن القبول بهذه الحقيقة يساعد على التخلص من العنف داخل المجتمع، وعدم الرضا والقبول بالتفاوت الذي هو صفة وخصوصية المجتمع البشري سيؤدي إلى الكراهية بين الناس، وباسم إزالة التفاوت من العالم ينخرط الناس في العنف والمواجهة وبهذا تبدأ دائرة مغلقة من العنف المتواصل.

ولو أن الناس قبلوا هذا التفاوت على أنه حقيقة واقعة، فإن ثقافة التعاون أوالتكافل ستسود داخل المجتمع، وسيتعاون الأفراد فيما بينهم، وبهذه الطريقة تدعم ثقافة التعاون والتكافل، وسيؤدي ذلك إلى انتشار السلام في المجتمع دون شك.

إن الذين ينخرطون في أعمال العنف لا يوجهون هذا العنف ضد شخص ما أو جماعة، بل هو ضد خطة اللّه في الخلق، وهناك العديد من الأوامر والوصايا في القرآن والسنة تحرم العنف، وأن السبب من وراء ذلك هو أن ثقافة العنف تسير ضد خطة اللّه في الخلق، فطبقا لخطة اللّه فإن وصول هؤلاء إلى السلطة إنما هو إنعام إلهي أنعم اللّه به عليهم، وعلى الآخرين القبول بذلك وعدم الانخراط في أي تجمع لإزالتهم عن السلطة. وبمعنى آخر فإن خطة اللّه تقتضي المحافظة والقبول بالوضع القائم، وإن مبدأ القبول بالوضع القائم هو الوصفة الوحيدة للحصول على السلام في العالم. إن محاولة تغيير الأوضاع القائمة يؤدي إلى التفرقة، أما إعداد الخطط لممارسة الأنشطة المختلفة مع القبول بالوضع الراهن فسيؤدي إلى السلام.

فلو أن فردا ما أو جماعة لها شكوى أو رأي مخالف، فليس أمامهم إلا التفاوض السلمي. إن محاولة التغيير عن طريق العنف ليس خيارا لأحد ولا يوجد عذر مقبول أبدا في هذا السياق.

إن وجود التفاوت والاختلاف بين الرجال والنساء ليس شرا بل هو في الحقيقة خير، فعندما يكمل الناس بعضهم بعضا يؤدي ذلك إلى ظهور ثقافة التعاون والتكافل، وهذا يؤدي بالضرورة إلى إرساء جو من السلام والمحبة والصداقة.

إن ثقافة التكافل أوالتعاون تمنحنا كل القيم البشرية الراقية، وهو ما يؤدي إلى ظهور أفضل نظام للمجتمع، إن هؤلاء الذين ينخرطون في أنشطة العنف لا يقوضون أسس المجتمع فحسب بل يضعون هدفا لا يمكن تحقيقه أو الوصول إليه وهو التكافل. إنه قانون الطبيعة وأن القبول به يجلب السلام إلى المجتمع ويفتح كل أبوا ب التقدم والرقي.

**■ الشر الأعظم في التاريخ**

الحرب ليست ظاهرة جديدة فقد كانت دائما جزء من التاريخ البشري، فمنذ البداية الأولى للبشرية اندلعت الحرب بين ابني آدم، وكانت النتيجة أن هابيل قتل أخاه قابيل، ومند ذلك الوقت استمرت الحرب بين الأمم والجماعات البشرية، ولكن الدرس الذي نستخلصه من التاريخ أن للحرب نهاية دائما، فلا توجد معركة استمرت لفترة غير محدودة، حتى الحربين العالميتين فقد استمرتا لفترة محدودة ثم انتهتا. إلا أن حالة المسلمين تبدو مختلفة تماما، حيث نتعلم درسا من التاريخ مفاده أن الحرب إذا نشبت بين المسلمين فلن تأتي إلى نهاية، هناك حديث عن الرسول ﷺ في صورة نبوءة تبين أن هذا الأمر صحيح تماما حيث يقول « **إذا ظهر السيف في أمتي فلن ينزع عنها** ». [1]

إن المجتمع الإسلامي يعتبر استثناءا في هذه الحالة، فمن خلال التحليل العميق للوضع نجد أن السبب وراء هذا الأمر هو التبرير

الشرعي للعنف أي تبريره من خلال الأحكام الشرعية، وكونها مقدسة فإن تبرير العنف من خلالها لا يسمح بأي مجال لمناقشتها.

- ما هو هذا العنف المشروع يا ترى؟

إنه العنف الذي يمارس باسم الجهاد الإسلامي. إن المعارك التي خاضها المسلمون خلال التاريخ هي باسم الجهاد، وإن الاعتقاد المتوارث عن الجهاد في الإسلام أن الفوز دائما حليف المجاهدين في حالتي النصر أو الهزيمة، فإما النصر أو الشهادة، والشهداء ليس أمامهم إلا الجنة.

إن الأمر الصحيح بالنسبة للجهاد القتالي في الإسلام لا يكون إلا في حالة الدفاع، وبما أن الدفاع أمر يهم الدولة فمن النادر وقوعه، وإن جميع الذين ينشطون باسم الإسلام في ساحة القتال هم في الحقيقة لا يمثلون الدولة، فلا توجد دولة مسلمة قائمة انخرطت في الحرب، إن طبيعة العنف في هذا العصر ليست إسلامية، فالمبدأ الإسلامي المقبول يقول « إن إعلان الحرب من خصوصيات الدولة القائمة ».[2]

وطبقا لهذا المبدأ فإن جميع المجاهدين الإسلاميين الذين ينخرطون في الحرب لا يملكون مبررا شرعيا، فعلى مثل هؤلاء أن يتوقفوا عن الحرب من طرفهم حالا وبدون أدنى شرط، ويغيروا وجهتهم بالكامل لينخرطوا في الأنشطة السلمية، ففي هذه الأثناء بالذات لا توجد لديهم أية احتمالات لخوض الحرب، طبقا للأعراف العالمية في هذا العصر وليس هناك أي احتمال آخر عدا السلام.

إن الحروب التي يخوضها المسلمون في هذا الزمان ليست حروب

دفاع عن أوطانهم، ولكنها كما يدعون لأجل إزالة الظلم وإحلال العدالة، وبدون أدنى شك فهذه حروب من صناعتهم، فلا يوجد في القرآن ولا في السنة ما يأمر المسلمين بخوض الحرب لإزالة الظلم وإحلال العدالة.

إن الحقيقة هي أن الاعتقاد بأن هذه الحرب شرعية أمر خاطئ، وقد بنيت على أساس خاطئ، وهذا تفسير خاطئ للقرآن والحديث. إن أسوأ أشكال هذه الحرب غيرالشرعية أنها كانت في البداية موجهة ضد الأمم غير المسلمة، وفي نسختها النهائية تصبح حربا داخلية بين المسلمين أنفسهم. إن السبب وراء ذلك أن المنخرطين في الحرب حين يفشلون في الحصول على نتائج إيجابية من ورائها، يعتقدون أن وراء ذلك وجود بعض المؤامرات تحاك ضدهم، ومتآمرين من بينهم وبهذا يوجهون عداوتهم إلى داخل مجتمعاتهم، وعندما يصل الأمر إلى هذا الحد فإن الشر يتعدى كل الحدود والمستويات، ذلك أن الحرب تنشب بين المسلمين أنفسهم فيقتل بعضهم بعضا.

لقد تنبأ رسول الإسلام بهذا الشر قبل حدوثه تصديقا للحديث الذي يقول:» لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض « . لقد ظهرت هذه النبوءة في القرن الواحد والعشرين، فنحن نرى اليوم وفي كل أنحاء العالم أن المسلم يقتل أخاه المسلم. ففي معظم العمليات الانتحارية نجد الجاني والضحية من المسلمين.

إن هذه الظاهرة تبين لنا أن الشر الأعظم هو عندما يصبح العنف منتشرا بين المسلمين أنفسهم، إن هذا تنبيه للمسلمين فإن لم يكفوا أيديهم عن هذا العنف والقتل وسفك الدماء فسيصبحون في نظر الله كفارا.

إن هـذا التحذير النبوي يجب أن يكون كافيا لجعل المسلمين يخلصون التوبة لله، ويتركون العنف جانبا دون أدنى تأخير، وعليهم أن يلقوا بأسلحتهم في البحر، وأن يمارسوا حياتهم كمواطنين مسالمين فلا خيار آخر أمامهم.

■ **والله يدعو إلى دار السلام**

هذه آية من القرآن الكريم لها صلة بحال المسلمين اليوم، يقول تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ سورة 10 آية 25. إن المقصود هنا بدار السلام هي الجنة، فالجنة هي مكان السلام المثالي، فالله سبحانه وتعالى يدعو كل البشر ليسلكوا سبل السلام في هذه الحياة الدنيا حتى يفوزوا بالجنة، فعليهم أن يوطنوا أنفسهم على إتباع سبل السلام والانخراط في بيئة السلام.

كذلك يصف الله بيئة الجنة في آية أخرى بهذه الكلمات:»

﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما﴾ **الواقعة أية** 25 - 26. هذا أفضل وصف للجنة إنها المكان المثالي والمجتمع الأمثل والأكمل، فلا انزعاج ولا نصب فيها، إن بيئة السلام هي ما يسود الجنة، وهذا الوصف يجعل الأمر يتضمن هذا التحذير للبشر: أيها الناس إن أردتم أن تضمنوا دخول الجنة، فيتحتم عليكم أن تتركوا جميع أنواع العنف، وأن تنخرطوا في بيئة السلام، فالجنة مكان يخلو من الكراهية، وأن هؤلاء الذين يعيشون في هذه الحياة الدنيا في حالة من الكراهية فلن يجدوا لهم مستقرا فيها

لقد كان الرسول ﷺ شخصية محبة للسلام بما في الكلمة من معنى، وقد وقعت معارك عديدة في زمنه إلا أنها جميعا كانت معارك

دفاعية، وأحد هذه المعارك غزوة بدر التي وقعت سنة 624م، و في الأثر نجد أنه أثناء المعركة كان جالسا في معسكره بعيدا عن مكان المعركة، وقد شوهد وهو يرسم بعض الخطوط على الرمل وقد علق أكبر خان على ذلك قائلا « إن قائد المسلمين يخطط للمعركة القادمة »[1] هذا الرأي بني على التخمين ولم يأخذ في الحسبان الحقائق، فعندما ندرس الأحاديث الأخرى يتبين لنا بكل وضوح أنه كان يخطط لإحلال السلام في المستقبل.[2]

يمكن أن ندرك هذا الأمر من خلال الحديث التالي: كان الرسول ﷺ جالسا بين أصحابه إذ جاءه جبريل وكان معه ملك لم يطأ الأرض إلا في تلك اللحظة منذ خلقت فقال له: يا محمد إن الله بعثني لأخيرك بين أن تكون ملكا رسولا أو نبيا رسولا؟ فأشار عليه جبريل أن يختار الوسطية لأجل ربه، فاختار أن يكون رسولا نبيا.[3]

إن هذا الحديث يبن لنا كيف كان يفكر الرسول فلم يكن عقله سياسيا بل كان عقلا نبويا، فلم يكن اهتمامه إقامة الحكم في العالم ولكن إبلاغ الرسالة غير السياسية للناس.

هناك أيضا دعاء للرسول ﷺ يقول فيه: اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام اللهم أحينا بسلام وأدخلنا الجنة دار السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام.[4]

من هذا الدعاء وهذه الكلمات وكذلك ما حدث بعد المعركة يتبن لنا أن الأمر كان مختلفا تماما، لقد خاض الرسول تلك المعركة وهو مكره لأن أعداءه قد أجبروه على ذلك، أما في المعارك التالية فقد حاول باستمرار تفادي الوقوع في القتال إلى أقصى حد، وفي نهاية

الأمر، وفي أثناء المفاوضات قبل بشروط الأعداء جميعا متنازلا من طرفه حتى يحل السلام بين الطرفين، وبهذا ظهر إلى الوجود صلح الحديبية.

إن الحقيقة هي أن الحرب إنما هي ضد خطة الله في الخلق، فطبقا لخطة الله على كل فرد ولد على وجه الأرض أن يبني نفسه ويطورها بإتباع السبل الروحية، وعليه أن يزيل جميع الأمور السلبية من نفسه لتحل محلها الأمور الإيجابية حتى يصبح تفكيره إيجابيا بالكامل، فطبقا للقرآن على كل فرد أن يجاهد نفسه حتى يسمو بها ويكتسب أخلاقا سامية. النساء آية 68

باختصار فإن خطة الله تقتضي أن يستمر البناء الأخلاقي دون عراقيل ومنغصات أمام الجميع، ولكي يكون مثمرا وبناء يجب أن يكون في بيئة من السلام، وليس بيئة العنف والقتال، وبهذا فإن تجار الأسلحة ومروجيها لا يعملون فقط ضد البشر ولكن ضد خطة الله.

إن اختيار الحرب كوسيلة جريمة لا يغفرها الله، والدليل الواضح على هذا أن هؤلاء الذين جعلوها وسيلة لم يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم التي يطمحون إليها رغم كل ما بذلوه من تضحيات ولعقود طويلة، فالحقيقة هي أن كل الذي جنوه من ذلك هو الدمار والهلاك لنفوس المسلمين وغيرهم.

■ **التدبير الإلهي للتاريخ البشري:**

نتعلم من القرآن أن أحد قوانين التاريخ هو قانون التدافع، وقد ذكر في القرآن على النحو التالي: « ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » البقرة آية 251. فهذا القانون يعني أن الله قد

منح الحرية الكاملة للإنسان، ولكنه في نفس الوقت يراقب باستمرار العالم البشري، وأثناء المحافظة على حرية البشر في التصرف فإن الله يدير ويدبر التاريخ البشري باستمرار، وعلى أساس هذا التدبير الإلهي للتاريخ البشري فإن الاستخدام الخاطئ للحرية لا يصل إلى المستوى الذي يؤدي إلى الفساد العظيم.

إن الحرية التي منحها الله للإنسان في الحقيقة لها هدف خاص ذلك أنها مصممة بحيث تمكن الإنسان من بناء شخصيته في هذا العالم. وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا بالحرية، إلا أن هذه الحرية في حد ذاتها قد تؤدي في الغالب إلى سوء استعمال، لهذا فإن الله يراقب دائما وباستمرار تطور التاريخ البشري، حتى لا يؤدي سوء استخدام الحرية إلى أقصى الحدود في التطرف مما يعرض خطة الله للخطر، هذا هو السبب في أن الله جعل نهاية لعصر الملكية على يد الثورة الفرنسية، ذلك أن النظام الملكي لا يكفل الحرية للبشر .

وبظهور الإمبراطورية الشيوعية سنة1922 م، وضعت قيود قوية ضد الحرية البشرية، وهذا الأمر ضد خطة الله في الخلق، وكان هذا السبب في نهاية الشيوعية بعد 65 سنة من الحكم، إن هذا الأمر لم يحدث صدفة، ولكنه بكل تأكيد بسبب إدارة الله للتاريخ البشري .

إن الأمر نفسه يحدث الآن لهؤلاء الذين جعلوا تبريرا مشروعا لأنشطتهم الإرهابية، حيث مارسوا أعمالهم الإرهابية عن طريق حركات إرهابية متعددة . فكل هذه الأنشطة في الغالب تعمل خارج إطار الدولة وهي جميعا ضد خطة الله وبكل تأكيد لها زمن وفترة محدودة .

من وجهة نظري فإن هذا الإرهاب سواء سمي باسم الجهاد أو اسم آخر، فإن الله سيزيله دون أدنى شك، ويمكننا أن نقول مطمئنين أن عملية إزالته قد بدأت فعلا.

إن المجموعات الإرهابية وبالرغم من التضحيات العظيمة التي بذلتها لم تنجح في بلوغ أهدافها التي تصبو إليها، ولم تتمكن إلا من إحلال القتل والدمار في العالم، وفي المقابل فإن الرأي العام العالمي قد انقلب ضدها، وقد فشلت في تسجيل أية نتائج إيجابية يمكن أن تكون تاريخيا إلى جانبها، إن النتيجة السلبية هي أهم دليل على أنها مرفوضة من قبل الخالق، وهذا بالنسبة للمبدأ القرآني، فإن قانون التدافع يعمل ضدها . إن الإرهاب وبكل تأكيد سيزول قريبا أو أنه سيصبح ضعيفا إلى حد بعيد .

إن هذا التوقع لمصير الإرهاب يخبرنا أنه من المحتمل أن عصرا جديدا سيبزغ فجره في القريب العاجل، وهو عصر ما بعد الإرهاب أي عصر السلام، وبهذا فإن الأنشطة البناءة ستبدأ حالا، و هي تلك الأنشطة التي يرضاها الله ويحبها، وهي لم تنضج بعد بسبب الإرهاب، إن أهم جانب في جميع هذه الأنشطة أن عصر السلام سيفرق بين الدين والإرهاب . وأن هذا الفصل بينهما يبشر دون أدنى شك ببزوغ عصر جديد للسلام لكل البشرية .

إن الصحافة أوالإعلام اليوم مملوء بصور العنف، إلا أن الوضع وراء المشهد مختلف تماما، فهناك عملية تسير بصمت وسط أنشطة العنف الظاهرة هذه، وهذه العملية ستنقل التاريخ من العنف في اتجاه السلام .

إنه وطبقا للتقارير الصادرة عن المعهد العالمي للدراسات حول السلام في ستوكهولم، فإن تسعة دول في العالم تنتج اليوم أسلحة نووية، وجد أنها جميعا تواجه مشاكل من نوع ما، رغم أن هذه الأسلحة لم تستخدم منذ إسقاط القنابل الذرية في سنة 1945م على كل من نكازاكي وهيروشيما، إن النتائج المرعبة لاستعمال الأسلحة النووية تظهر المرحلة الأخيرة للعنف، فعند استخدام الحد الأقصى للعنف فليس هناك فواصل يمكن إضافتها، لذا يجب أن تكون هناك قاطعة لهذا العنف . وهذا يحتم بكل تأكيد عدم استخدام القنابل الذرية مرة أخرى . إن الدمار الشامل الذي أحدثه استعمالها أثناء الحرب العالمية الثانية أعطى رسالة مفادها أن إستراتيجية العنف لم تعد تعمل وأن كل المؤشرات تشير إلى أن التاريخ البشري يسير من العنف في اتجاه السلام.

■ **المركز العالمي للسلام :**

لقد عاش ألفرد نوبل بين سنة 1833 - 1896م، حيث ولد في ستوكهولم بالسويد، وعمل منذ شبابه في مصنع والده للأسلحة، وجعله اتقاده الذهني شغوفا بالتجارب الكيميائية والمتفجرات، وقد أدى ذلك إلى تطوير استخدام البارود، وبفضل انجازاته في مجال المتفجرات وبراءة اختراعاته أصبح غنيا جدا .

وفي سنة 1864م حدث انفجار قاتل في مصنعه بلفيتروفليسرين ذهب ضحيته شقيقه الأصغر وعدد كبير من الناس مما جعل صحيفة فرنسية تعلن عن طريق الخطأ أن الانفجار قد ذهب ضحيته الفرد نوبل نفسه، تحت عنوان تاجر القتل يصبح ضحية لأسلحته . حيث

ذكرت التالي : « الفرد نوبل الذي أصبح غنيا بجعل الناس يموتون بطريقة أسرع مما كان في السابق مات بالأمس »[1] .

وعندما قرأ نوبل الخبر أصيب بصدمة كبيرة وأصبح يفكر بطريقة يمكنه بها أن يحسن صورته التي شوهت، فقرر أن يتنازل عن ثروته بالكامل ويسخرها في تقديم جوائز تسمى باسمه حيث قدم 94 ٪ من ثروته البالغة 31 مليون كورونة سويدية والتي تقدر بحوالي 186 مليون دولارا أمريكا ليؤسس لخمسة جوائز، وبهذا اشتهرت مؤسسة نوبل بتقديم جوائز لأعظم انجازات العالم في مجال السلام ومجالات أخرى .

لقد كانت خطة نوبل لبناء صورة حسنة له أعظم نجاح، حيث أن العالم اليوم يذكره على أنه أعظم داعم للسلام، إن قصة نوبل في اختراعاته للأسلحة التي باعها حتى أصبح غنيا والتي كانت سببا في تشويه سمعته وصورته تشبه حال المسلمين اليوم .

إن المسلمين اليوم وبسبب الأوضاع السياسية انخرطوا في نفس العمل الذي قام به ألفرد نوبل إلا أن الفرق يكمن في أن نوبل أسس لتجارة الأسلحة، وأن المسلمين أسسوا لثقافة العنف باستخدام الأسلحة، فإذا كان نوبل قد ساهم في قتل الناس بطريقة غير مباشرة، فالمسلمون ساهموا في قتلهم مباشرة . لقد شوهت صورة نوب،ل ولكن الأمر بالنسبة للمسلمين أسوأ بكثير، فقد أسسوا لثقافة العنف باسم الإسلام، و مارسوا نشاطاتهم على هذا الأساس، وبهذا فقد تم تشويه صورة الإسلام في حد ذاته، ومما زاد الأمر سوء، أننا في عصر الإعلام والصحافة حيث أن الأخبار السلبية عن العنف الذي

يمارسه المسلمون تجد طريقها إلى الناس في كل لحظة لتغزو العالم بأسره، وبهذا أصبحت صورة الإسلام في العالم على أنه دين العنف .

لم يضيع ألفرد نوبل وقته في لوم الآخرين على ما أصاب سمعته نتيجة أفعاله، ولكنه وضع كل اللوم على نفسه وقرر تحسين سمعته بأن أعد خطة فريدة لأجل السلام .

لقد حان الوقت أمام المسلمين ليأخذوا نفس القرار في تغيير الاتجاه كما فعل ألفرد نوبل دون تردد، وأن يتبعوا الأمر الإلهي الذي جاء في القرآن على النحو التالي :﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ النور 31 ».

إن أفضل طريقة لتحسين صورة المسلمين، هي أن يعملوا على تأسيس مؤسسة ضخمة تحت اسم المركز العالمي للسلام، وعلى الدول الإسلامية والمؤسسات والأفراد أن يكونوا أعضاء في هذا المركز، وأن يشاركوا فيه بكل ما يملكون ليحظى المركز بالدعم من الجميع، على أن يؤسس على أرقى المستويات والمقاييس العالمية، وأن لا يكون سياسيا أو اجتماعيا أو تجاريا، و أن يكون هدفه الوحيد تعزيز السلام ودعمه ونشره، ولأجل إحلال ثقافة السلام حول العالم بدلا من العنف.

إن المجتمعات الإسلامية عليها دين يجب تسديده ألا هو نشر كلمة الله وتبليغها إلى كل فرد يعيش على وجه الأرض من الرجال و النساء، وعليهم أداء هذه المهمة بأقصى الجهود وبالوسائل السلمية، وأن المركز العالمي للسلام هو الوسيلة التي تمكنهم من القيام بهذه المسؤولية، وإن الله بكل تأكيد سيؤيدهم بنصره إذا ما قاموا بمهمة

تحسين صورة الإسلام ليصبح دين السلام بدلا من كونه دين العنف .

يبلغ عدد المسلمين اليوم حول العالم حوالي المليار نسمة، و كل مصادر الثروة الطبيعية متوفرة لدى الدول الإسلامية وأن أفضل استعمال لهذه الثروة هو من أجل تحسين صورة الإسلام، ويجب أن يصمم المركز العالمي للسلام من أجل هذه المهمة .

# قائمة المراجع والمصادر


المقدمة:

(1) صحيح البخاري حديث رقم 3062

**الباب الاول: السلام من اجل السلام**

- **في السلمية:**

1 - المنظمة العالمية للعمال

- **السلام، العدالة:**

1 - المنظمة العالمية للعمال

**الباب الثاني: بزوغ عصر السلام**

- **عصر نهاية الاحتكار:**

1 - دون فريدريك وست، القوة الفكرية العظيمة، نيويورك، مطابع سيتداول 1966 .

- **الحضارة الغربية:**

1 - صحيح البخاري حديث رقم 3062.

- **اجعل من عدوك صديق:**

1 - الإنجيل، ماثيو 5:44.

2 - البحث عن آدم و حواء، نيوزويك 11 يناير 1988 .

الباب الثالث: مناهج عدم المواجهة من أجل السلام

- **حكمة الخالق من الخلق:**

1 - صحيح مسلم، حديث رقم 2593.

- **سياسة المشاركة اللاتصادمية:**

1 - سيرة ابن هشام، مصر، مصطفى الحلبي و أبنائه 1955 مجلد رقم 1 صفحة 503

● **معادلة حفظ النفس:**

1 - الإنجيل، لوقا 29:6

2 - صحيح البخاري، حديث رقم 1871

● **سياسة المفاصلة:**

1 - اي اي كبليت، موجز تاريخ الديانات، لندن فيكتور قولاس المحدودة، 1993 صفحة 334

● **قوة السلام أعظم من قوة العنف:**

1 - مايكل هارت، المئة ترتيب للشخصيات الأعظم تأثيراً في التاريخ، نيويورك، مطابع سيتداول، 1978 صفحة رقم 3

2 - صحيح البخاري، حديث رقم 3560

● **الأمثلة التي قدمها النبي صلى الله عليه و سلم**

1 - الإنجيل، جينيسس 40:41

**الباب الرابع: شهادة التاريخ**

● **بين المثالية و البراغماتية:**

1 - جيمس جينز، الكون الغامض، كمبرمج، مطابع جامعة كامبردج 1930 صفحة رقم 3

● **التخطيط المبني على الحقائق:**

1 - راجوهان غاندي، لثمانية حيوات، دراسة مواجهات المسلمين والهندوس، نيويورك، مطابع سدني 1986 صفحة رقم 174

2 - مقتطفات من خطاب مشرف، البي بي سي، 12 يناير 2002

● **أنشطة العنف و أنشطة السلام:**

1 - ادوارد قيبون، تاريخ سقوط الإمبراطورية الرومانية، نورولك، مطابع أيستون 1974 الفصل الثالث صفحة رقم 69

● **تنبؤ ثبت صدقه :**

1 - سكينة يوسف خان، عدوان الولايات المتحدة قد يأتي بنتائج عكسية، تايمز الهندية، نيودلهي 16 سبتمبر 2001

2 - الإمبراطورية البريطانية، كالرونيان ميركوري( 15619)، 15 اكتوبر1821 صفحة رقم 4

- **الحفاظ على الوضع الراهن :**

1 - صحيح البخاري، حديث رقم 126

- **دروس من التاريخ:**

1 - جون تولاند، شروق الشمس، سقوط الحضارة اليابانية، 1936 - 1945، نيويورك، راندوم هاوس 1970 صفحة رقم 384

2 - عز الدين بن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صدر 1982، مجلد 12 صفحة رقم 384

3 - توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، كونستابل أندكو المحدودة، 1913، الفصل : إنتشار الإسلام بين المغول و التتار، صفحة رقم 168 - 192

4 - فيليب حتى، تاريخ العرب، لندن، بالغريف ماكلين 2002 صفحة رقم 488

**الباب الخامس: الحاجة إلى أيديولوجية لمواجهة أيديولوجية العنف**

- **قضية المسلمين المعاصرين:**

1 - الإنجيل، اسرايا 43:12

- **قنبلة فكرية ( أدبية ):**

1 - ايقوين ليونز، ميلوفان و جيلاس و الكتاب الذي يهز العالم الشيوعي، ريدز وايدجت اكتوبر 1957

2 - حرب الدولة الإسلامية، مجلة الهند، 12 يونيو 2015 صفحة رقم 10

3 - تيم روس، دايفيد كامرون يقول للجهاديين المراهقين أنتم ( وقود الحرب ) التلقراف 19 يوليو 2015

4 - اليونيسكو

- **شرور الإعلام الموجه:**

1 - سيوبهان فنتون، كنيسة إنجلترا، جبل واحد قبل الإندثار، بعد خسارة الأتباع الدرامية، الاندبندنت 1 يونيو 2015

2 - خطوط يونايتد إيرلاينز تواجه المقاطعة بسبب الإسلاموفوبيا على إرتفاع 30000 قدم، تايمز الهندية، نيودلهي 31 مايو 2015 صفحة رقم 22

**• العمليات الإنتحارية:**

1 - صحيح البخاري، حديث رقم 3062

2 - خليل جبران، نيويورك، نوف دوبلداي 1923، الفصل 12

3 - صحيح البخاري، حديث رقم 1312

**• زاوية النظر:**

1 - ليزلي فيرنك، لورد، أريد أن أكون سعيد فقط، يوجين، هارفست هاوس للنشر 2009 صفحة رقم 204

**• لماذا ينضم الشباب إلى الجماعات الإرهابية ؟**

1 - مسند الإمام أحمد، حديث رقم 23814

2 - فيرجينيا باج فورتونا ( هل ينتصر الإرهابيون وتوضيف نتائج الإرهاب و نتائج الحرب، انترناشيونال أورقنايزشن، المجلد 69، إصدار 03، صيق 2015 صفحة رقم 519 - 556

3 - فيليب حتى ، العرب : تاريخ مختصر، واشنغتون دي سي، ريجينري للنشر، 1996 صفحة رقم 57

4 - ارثر كيت، نظرية النشوء و الإرتقاء جديدة، لندن، واتس أند كومباني، 1948 صفحة رقم 303

**• الباب السادس: السلام عند المسلمين**

جدول اعمال لم تكتمل:

1 - ماثيس هيدر، الباكستان و كشمير غير قابلان للإنقسام، الجنرال راهيل شريف، 3 يونيو 2015

**• الطريق إلى الإسلام:**

1 - حياة اثنان من الناجين، حسن البنا و سيد قطب صفحة رقم 24

2 - فالي ناصر، حماة الثورة الإسلامية، الجماعة الإسلامية للباكستان، اوكلاند، مطابع جامعة كاليفورنيا 1994 صفحة رقم 153

● **نموذج الفاتيكان:**

1 - كريس سيليزا، ( نضيف للخطاب الفترة الرئاسية لأوباما )، واشنغتون بوست، 19 يونيو 2015

النافع للنفس وما يضرها:

1 - تايمز أوف إنديا ( تايمز الهندية )، نيودلهي، 29 مايو 2015 صفحة رقم 20

● **ثقافة الإرهاب:**

1 - كلاشنكوف خوف أن يقع عليه اللوم بسبب وفيات 47 - AK، أخبار البي بي سي، 13 يناير 2014

2 - سوليدار أوبراين ( القناص قال أنه يشعر بالخجل و ذنب القتل )، سي ان ان، 12 أكتوبر 2007

● الإسلام دين السلام:

1 - شعب الإيمان، البيهقي 6006

2 - المنهاج شرح صحيح مسلم، بيروت، دار، إحياء التراث العربي، 1972 مجلد 12 صفحة رقم 229

● **الشر الأعظم في التاريخ:**

1 - الترمذي، حديث رقم 2202

2 - صحيح البخاري، حديث رقم 2957

3 - صحيح البخاري، حديث رقم 121

● **الله يدعو إلى دار السلام:**

1 - وحيد الدين خان، رسول الإسلام، نيودلهي، كتب بزقويف 2009 ص رقم 28

2 - إسماعيل ابن كثير، البداية و النهاية، بيروت دار إحياء التراث العربي 1988 مجلد 3 صفحة رقم 327

3 - مسند أحمد، حديث رقم 7160

4 - إسماعيل ابن كثير، تريور لوجاسك، حياة النبي محمدﷺ ، سرة ابن كثير، بيركشاير، جارنت للنشر المحدودة 1998، مجلد 2 صفحة رقم 267

● **مركز الإسلام العالمي:**

1 - فريدريك قولدن، الأسوء والأكثر بريقاً، التايمز 16 أكتوبر 2005

■ يهدف هدا الكتاب إلى إعادة هندسة عقول أولئك الدين يفكرون بمصطلحات العنف .الكتاب له هدف دو شقين :

• أولا مساعدة المتورطين في أعمال العنف على إدراك أن هدا العصر هو عصر السلام.

• ثانيا يشرح المؤلف تلك المبادئ التي يجب ان تحكم وتقيد اعمال الراغبين في اقامة السلام في المجتمع .

■ «المنهج العملي للسلام ينتج عنه التواضع والعكس صحيح ، فمن يمارس العنف عاجلا ما يصبح متكبرا متعجرفا»

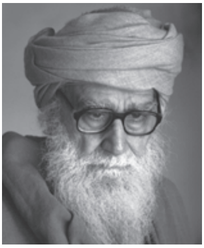
• «إن قتل الإنسان ليس مساوياً لقتل حيوان ، قتل انسان مساو لقتل الإنسان لنفسه»

•«لا حاجة للحكمة لممارسة العنف فكل انسان غبي يمكنه فعل دلك ولكن إقامة السلام والحفاظ عليه يتطلب قدر كبير من الحصافة والتخطيط «

• « كل إنسان حباه المولى بخصائص فريدة وليس من خطة الله في الخلق ان يعيش الإنسان ليقاتل ويقتل «

• «السلام تربة المجتمع باستصلاحها نجني ثمار العدالة الاجتماعية ، وكما انه ليس من الممكن أن تجني الثمار من التربة مباشرة كذلك ليس من الممكن ان نشنق العدالة الاجتماعية من السلام مباشرة «

• وفقا لتعاليم الإسلام لايوجد مجال للشك في حقيقة من يقتل من المسلمين في عمليات انتحارية يموت على غير هدى الإسلام وتعاليمه وليس لهم جنة في الإنتظار لترحب بهم «



■ مولانا وحيد الدين خان هو مؤسس مركز السلام والروحانية في مدينة نيودلهي وهي منضمة عالمية تهدف الى تقديم الإسلام كونه

أيديولوجية متكاملة للسلام ومن مؤلفاته كتاب « رسول السلام « و « الحكمة القرآنية « و « الإسلام والسلام العالمي « كما الف العديد من الكتب الإسلامية الأكثر مبيعا .

وحيد الدين خان عرف على مستوى عالمي بمساهمته من أجل إحلال السلام العالمي .